بحوث ودراسات

بعضُ ملامح التجديد الفكري عند طه جابر العَلْواني

فتحي حسن مَلْكاوي*

الملخّص

تتناول هذه الورقة مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي عن طه جابر العلواني بوصفه واحداً من المفكرين في مدرسة إسلامية المعرفة. وتأتي الورقة في أربعة أقسام: أولها يستشكف مفهوم التجديد وصلته بالحديث النبوي الشريف حول التجديد والمجددين كما يفهمه العلواني، وبعدد من المصطلحات التي تتداخل مع مفهوم التجديد ولا سيما مفهوم المراجعة. ويتحدث القسم الثاني عن رؤية العلواني للتجديد في مجال التعليم والتعليم الديني على وجه الخصوص، ويتناول القسم الثالث علاقة العقلية النقدية للعلواني بجهوده التجديدية، أما القسم الأخير فيختص باهتمام العلواني بقضية المنهج والمنهجية بوصف هذه القضية من أهم ما يلزم حضورها في موضوع التجديد الفكري الإسلامي. وتستنتج الورقة أنَّ العلواني لم يواصل البحث في موضوع أصول الفقه وضرورة التجديد فيه؛ وأنه يميل إلى ترك أصول الفِقْه في الصورة التي تطوَّر فيها لأغراض ذلك العلم، واستنباط مناهج أُخرى للتعامل مع قضايا العلوم الاجتماعية؛ لحاجتها إلى دراسات مُتعمِّقة في الواقع ومشكلاته. ومن ثم أكد العلواني أهمِّية تطوير استعمال البُعْد المنهجي لأصول الفِقْه في العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: طه العلواني، التجديد الفكري، حديث المجددين، المراجعة، التعليم الديني، العقلية النقدية، محددات منهجية.

* دكتوراه في التربية العلمية وفلسفة العلوم، تربوي وأستاذ جامعي أردني، مستشار في المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن.

البريد الإلكتروني: fathihmalkawi@gmail.com

تم تسلُّم البحث بتاريخ 1/ 5/ 2024م، وقُبِل للنشر بتاريخ 2025/2/25م.

للاقتباس: ملكاوي، فتحي حسن (2025). "بعضُ ملامح التجديد الفكري عند طه جابر العَلْواني"، **مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقاً)**، مجلد 31، العدد 109، 15–53.

DOI: 10.35632/citj.v31i109.13839

كافة الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي © 2025

مُقدِّمة

إنَّه من غير الإنصاف أنْ يقتصر الحديث عن التجديد على ما قام به علماء الأُمَّة في المراحل المختلفة من التاريخ الإسلامي، دون التنويه بأمثلة على التجديد لدى علماء ومُفكِّرين من التاريخ الحديث والمعاصر. ثمَّ إنَّ من الوفاء لعلماء الأُمَّة الـمُحدَثين والمعاصرين أنْ نُنوِّه بما قاموا به من أعمال تُعَدُّ استمراراً لحركة التجديد في حياة الأُمَّة. ومن أجل ذلك، اجتهدنا –في ما سبق– في بيان وجوه التجديد التي قام بها إسماعيل الفاروقي،[1] وعبد الحميد أبو سليمان (ملكاوي، 2024). ونتحدَّث الآن عن عَلَمٍ آخرَ من الأعلام المعاصرين، وهو طه العلواني الذي لا نشكُّ في أنَّ اختياراته الفِقْهية والفكرية كانت نوعاً من التجديد الـمُتميِّز عن أعمال كثير من معاصريه.

وبالرغم من أنَّ الله سبحانه خلق كلَّ فرد من أفراد البشر مُتميِّزاً عن غيره ببعض المزايا الشخصية، فقد أصبح من المألوف أنْ نجد –في الكتابة عن أيَّة شخصية– حديثاً عن العوامل التي شكَّلت هذه الشخصية، بَدْءاً ببيئة التنشئة وما كان فيها من مُحدِّدات تربوية نفسية وعقلية، ثمَّ الظروف والتحوُّلات التي مَرَّت بها هذه الشخصية، وما قد يكون لها من آثار في تحديد ما قدَّمته من إسهامات جديدة فكرياً وعملياً. ولم يترك طه جابر العلواني فرصة –لَمَنْ يكتب عنه– للبحث عن هذه العوامل والظروف التي مَرَّ بها في حياته؛ إذ تحدَّث بنفسه عنها، وذكر فضْلَ الله سبحانه عليه بما وهبه من خصائص نفسية وعقلية، وفرص أتاحها له في حياته من الخبرات الـمُتنوِّعة في البيئات الفكرية والمذهبية والقومية والدينية المختلفة في بلاد متعددة من العالَم.

فقد تحدَّث العلواني عن البيئة التي نشأ فيها في العراق، في جانبها الأُسَري والثقافي والسياسي والعسكري، وعن تعليمه الديني التقليدي، ثمَّ الأزهري من الثانوية إلى الدكتوراه. وتحدَّث كذلك عن ملابسات خروجه من العراق إلى إيران، ثمَّ إلى المملكة العربية السعودية وتجربته التعليمية في بيئة

[1] ملكاوي، فتحي. "التجديد والاجتهاد عند إسماعيل الفاروقي"، بحث أُعِدَّ ليكون فصلاً في كتاب بعنوان: **نماذج من جهود التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر**.

سلفية حنبلية، ومحاوراته مع العلماء السلفيين، وكتاباته الأكاديمية والثقافية الـمُبكِّرة. وقد تحدَّث أيضاً عن مرحلة جديدة من الانفتاح على آفاق إسلامية عالمية عن طريق الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ثمَّ انضمامه إلى جماعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ثمَّ انتقاله إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتفرُّغ فيها للعمل الفكري نائباً لرئيس المعهد، ثمَّ رئيساً للمعهد مُدَّة عشر سنين. وفي هذه المرحلة، تحدَّث العلواني عن محاوراته ومدارساته مع الفاروقي وأبو سليمان وزوجته الثانية منى أبو الفضل، ثمَّ محاوراته مع أبو القاسم حاج حمد وعلماء ومُفكِّرين من الشيعة الاثني عشرية والزيدية، وأساتذة الأديان والإسلاميات في الجامعات الأمريكية. كذلك تواصل العلواني مع شخصيات الفكر القومي العربي، ومصادر الفكر الغربي، ثمَّ اختير رئيساً لمجمع الفِقْه الإسلامي في أمريكا الشمالية، وانشغل بفِقْه الأقليات وفِقْه الـمُواطَنة، ثمَّ بحث في إشكالية السُّنَّة النبوية، وأخيراً تفرَّغ تفرُّغاً تامّاً للدراسات القرآنية.

والـمُهِمُّ في كلِّ ذلك أنَّ عناصر شخصية العلواني وعقليته النقدية، وتنوُّعَ الخبرات التي مَرَّ بها رُبَّما أسهمت في تشكيل حالته الفكرية، التي اتَّصفت بالتطوُّر والتغيُّر والمراجعة الـمُستمِرَّة، على غير حالة كثير مِمَّنْ عُرفوا في ميادين الفكر والعِلْم. ويُمكِن القول إنَّ العلواني اشتُهِر بأنَّه مُفكِّر مُتخصِّص في جهود التجديد الفكري والمراجعة الفكرية والثقافية أكثر من كونه عالِـماً مُتخصِّصاً في أيِّ فرعٍ من فروع علوم الشريعة.

وليس من غرض هذه الورقة تفصيل تلك المراجعات التي قام بها العلواني، ولا تحليل التغيُّر والتطوُّر في الحالة الفكرية التي تُمثِّلها كتاباته الـمُتتابِعة. وليس من غرضها استقصاء تراثه بأكمله، واستيعاب الحديث عن رحلته العِلْمية، ومنهجيته الفكرية، واهتماماته العملية؛ فثَمَّة كتابات مُتعدِّدة تناولت جوانب مختلفة من أفكار العلواني، وبعض هذه الكتابات صدرت في حياته، في حين صدر بعضها الآخر بعد وفاته. وقد تنوَّعت الكتابات هذه في أغراضها ومناهجها بين مستويات من الموضوعية والإطراء والنقد.[2]

[2] نُنوِّه في هذا الـمَقام بما كتبه العلواني عن نفسه في حياته السياسية والعسكرية، وعن تجربته في التعليم الديني. كذلك نُنوِّه بالعمل الذي قام به السيِّد عمر، وتمثَّل في استعراض مُجمَل كتابات العلواني وتلخيص أهمِّ أفكارها، إضافةً إلى العمل الذي قام به

حَسْبنا لأغراض هذا البحث أنْ نتعرَّض لعدد من المجالات التي لمسنا فيها جوانب التجديد لدىٰ العلواني، ومثَّلْنا بعضُ أعماله المنشورة التي حاول فيها الإسهام في جهود الإصلاح والتجديد الفكري الإسلامي، مع قَدْرٍ من الاستئناس بالمعرفة المباشرة الوثيقة لكاتب هذه السطور العلواني، والتواصل الشخصي والحوارات الـمُطوَّلة معه في كثير من مناسبات الحِلِّ والتَّرْحال، عبر مدة لا تقل عن ربع قرن، والاعتماد علىٰ كتابات العلواني نفسه، دون اللجوء إلىٰ ما كُتِب عنه. ومع ذلك، فإنَّنا لا نَدَّعي أنَّ عملنا هذا هو أوَّل عمل يتناول الجهود التجديدية للعلواني؛ فثَمَّة دراسات تناولت التجديد الفكري العام عند العلواني (أبو حليوة، 2011؛ وجيه الدين، 2019)، ودراسات أُخرىٰ تخصَّصت في التجديد المقاصدي عنده (بيبرس، 2020، ص143–346).

أوَّلاً: مصطلح التجديد ومفهومه عند العلواني

1. مفهوم التجديد

ظهر مصطلح التجديد في كتابات العلواني في عدد من عناوين الأعمال المنشورة،[3] وفي عناوين بعض النشاطات التي أدارها.[4] والأصل في التجديد –في رأيه– أنْ يُمكِّن الأُمَّة من تطوير الفكر الجديد الذي تتمكَّن به من ممارسة الحياة المعاصرة وَفق الهدي القرآني، ويُعين في مواجهة أسئلة المجتمع المعاصر. غير أنَّ العلواني –مثله مثل عبد الحميد أبو سليمان– لا يكتفي باستعمال مصطلح التجديد

التيجاني عبد القادر حامد عن حياة العلواني ونشأته الاجتماعية والعلمية، وتجربته العسكرية والسياسية، وخبراته التعليمية الـمُبكِّرة، وتوجُّهاته الفكرية، وانشغالاته الإدارية، بصورة تتَّصف بالشمول غير الـمُمِلِّ، والإيجاز غير الـمُخِلِّ، عِلْماً بأنَّ عمل التيجاني حامد لم يقتصر علىٰ الاستئناس بمُجمَل كتابات العلواني، وإنَّما جاءت بعض تقريرات الـمُؤلِّف نتيجة تواصله مع العلواني وملازمته له بضع سنين. انظر: (عمر، 2021؛ حامد، 2022).

[3] مثال ذلك: كتاب "نحو التجديد والاجتهاد: مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية" في جزأين، وكتاب "التعليم الديني بين التجديد والتجميد". وقد ظهر مصطلح المراجعة ومصطلح التغيير في عناوين كتب أُخرىٰ.

[4] مثال ذلك: دورة "تجديد الخطاب الديني" الأولىٰ بالتعاون بين أكاديمية طه العلواني للدراسات القرآنية ومشيخة الأزهر، مايو : أكتوبر 2015م. وتوجد دورة ثانية مُماثِلة عُقِدت في شهر فبراير عام 2016م.

بمعناه التقليدي الذي غَلَبت عليه دلالة استنباط الأحكام الشرعية، وإنَّما يتوسَّع في ما يراه من دلالة للمفهوم، ويستعمل عدداً من الألفاظ ذات الصلة الوثيقة به، مثل: المراجعة، والإصلاح، وإعادة النظر، والتغيير، والبعث، والإحياء، وإعادة تشكيل العقل، وإعادة البِناء، وإعادة القراءة، وغير ذلك، مع غَلَبة ملحوظة في استعمال ألفاظ "المراجعة" و"الإصلاح" و"التغيير"؛ ذلك أنَّ من التجديد المطلوب عنده ما يكون مراجعة لتراثنا الإسلامي، لاستئناف ما عرفه تاريخ هذا التراث من مراجعات، ومن التجديد ما يكون جهوداً فكريةً وعمليةً لازمةً لإصلاح واقع الأُمَّة وحضورها الفاعل في العالَم المعاصر، وليس ثَمَّة تجديد أو إصلاح للواقع دون بذل الجُهْد اللازم لتغيير حالة الواقع، وما يتَّصف به من مظاهر العجز والتخلُّف، إلى حالة أُخرى تتَّصف بالقدرة على الإنجاز والدافعية الحضارية.

ولا شكَّ في أنَّ كلَّ مصطلح من هذه المصطلحات يُستخدَم في السياق المناسب له. وحين تَرِدُ هذه المصطلحات بصورة مُتصاحِبة مُتعاطِفة، فلا بُدَّ من ملاحظة اجتماع الدلالات الخاصَّة بكلٍّ منها؛ فحين يستعمل العلواني مصطلح التغيير مثلاً، فإنَّه لا يكتفي باستعماله في صورة لفظ مُصاحِب لألفاظ أُخرى، وإنَّما يعطيه خصوصيته التي تستدعي من "مُفكِّري الأُمَّة والمشغولين بالهَمِّ الفكري والإصلاحي فيها إعطاء هذا الجانب ما يستحقُّه من عناية ودراسة واهتمام." فالتغيير -في نظره- يُشكِّل اليوم أزمة من أزمات العالَم المعاصر؛ نظراً إلى الترابط والتواصل العالمي في سائر الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية والأخلاقية والبيئية؛ ما يفرض التعامل مع المشكلات التي تَحجُب "عالَمِيّة التغيير"، وتحيطها بضباب كثيف يَحول دون رؤية عالميتها، واكتشاف المداخل السليمة لمقاربتها. ثمَّ إنَّ العلواني يُؤصِّل لمفهوم التغيير تأصيلاً قرآنياً بالاستشهاد بالآيات القرآنية التي تتحدَّث عن التغيير والاستبدال، ويستشهد بالأحاديث النبوية الشريفة التي تشير إلى مسؤولية التغيير في الجماعة والأُمَّة بصورة لا تُعْفي أيَّ فرد من هذه المسؤولية. ثمَّ يتحدَّث بشيء من التفصيل عن كلٍّ من: إشكالية التغيير، ومُنطلَق التغيير، وهدف التغيير، وقواعد التغيير، ومنهجية التغيير، واتجاهات التغيير، وحركات التغيير، ونتائج التغيير، وإنسان التغيير، وأُمَّة التغيير، وميادين التغيير، وأدوات التغيير، والمشروع الحضاري التغييري، ومعالم المشروع التغييري (العلواني، 2003، ص10-20).

2. التجديد والمراجعة

وقد توسَّع العلواني في ربط مفهوم التجديد بمصطلح المراجعة؛ أي المراجعة من أجل التجديد، فتكون المراجعة أمراً مطلوباً في مجالات مُتعدِّدة من الممارسات العِلْمية والعملية، بما في ذلك المراجعة الـمُهِمَّة للمعهد الذي كان رئيساً له، في أساليب عمله ومضامين فكره وطرق صياغة هذه المضامين. وحين خاطب العلواني مستشاري المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الندوة الأولى للمستشارين عام 1989م، وكان وقتها رئيساً للمعهد، صرَّح بأنَّه يسعى إلى "مراجعة مَسيرة المعهد منذ فترة التأسيس حتّى وقت انعقاد الندوة"، وجعل عنوان الورقة التي قدَّمها: "إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات"، فاستعمل مصطلح المراجعة ومصطلح الإصلاح، واستعمل في مُقدِّمة طبعة لاحقة للكتاب نفسه مصطلحات التجديد والإحياء والتغيير، قائلاً: "إنَّ مؤسسات "التجديد والإحياء" هي أدوات ضرورية لإحداث التغيير والنقلة الحضارية والفكرية"، ومُبيِّناً أنَّه يتناول مُؤسَّسة المعهد "باعتباره مُؤسَّسة تجديد وإحياء". ثمَّ عبَّر عن معاناة أُمَّتنا كثيراً من فهم "حديث التجديد فهماً فردياً... (فقد كان ذلك) وراء فشل الكثير من المحاولات التجديدية في تاريخنا" حين استقرَّ في أذهان أُمَّتنا أنَّ "التجديد يقوم على فرد جامع للعلوم والحكم، قادر على الاجتهاد الـمُطلَق، وتحقيق التغيير." لذلك يرجو العلواني "أنْ ننطلق في مراجعة قضايا المعهد العالمي للفكر الإسلامي؛ ماضياً وحاضراً ومستقبلاً؛ أهدافاً، وغاياتٍ، ووسائلَ" (العلواني، 1994أ، ص1؛ العلواني، 1994ب، ص6-7).

لكنَّ لفظ "المراجعة" يبقى لفظاً أثيراً عند العلواني، فنجده يُكثِر من استعماله في مناسبات مختلفة، حتّى في مراجعته لنفسه، وترحيبه بملاحظات القُرّاء الذين يطَّلعون على كتاباته، حتّى "يكون ذلك مُساعِداً على التصحيح والمراجعة وإعادة النظر في ضوء ملاحظات القُرّاء وطرائقهم في تقييم ما يطَّلعون عليه" (العلواني، 2004، ص6؛ العلواني، 2009ج، ص10).[5]

[5] وقد بقيت هذه الملاحظة في الطبعة الأُخرى التي أصدرتها دار الفكر في دمشق عام 2009م، ص10.

ونظراً إلى أهمِّية المراجعة -في رأي العلواني-؛ فإنَّه يُؤكِّد ضرورة تطوير موضوع المراجعات حتّى تصبح عِلْماً من العلوم المعاصرة. ولهذا حمل أحد كتبه عنوان: "نحو التجديد والاجتهاد: مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية"، وجاء الفصل الأوَّل فيه بعنوان: "نحو تأسيس عِلْم المراجعات في تراثنا الإسلامي"، مُتحدَّثاً فيه عن وجوه الحاجة إلى هذا العِلْم، وتأصيله، وتحديد أصوله، ومداخله، وعملياته، وما كان فيه من نماذج وممارسات تاريخية، فضلاً عمّا يلزم لمواجهة الـمُعوِّقات التي تقف أمام المراجعة (العلواني، 2008، ص11-49).

فعِلْم المراجعات الذي يدعو العلواني إلى تطويره هو مُقدِّمة ضرورية لإدراك حقيقة الأزمة التي تَصِف واقع المعرفة في حياتنا المعاصرة. وعلى أساس هذا العِلْم، يُمكِن أنْ "يبدأ العمل الجاد التجديدي الذي يقوم به الـمُتخصِّصون في إعادة بِنائها بِناءً متيناً يرتقي بها إلى مستوى العلوم، ويمتدُّ بها بحيث تكون لها مناهجها التعليمية، ونماذجها المعرفية، ومصادرها الـمُنتِجة الغنية. وآنذاك سوف تكون قادرة على تكوين الـمَلَكات الاجتهادية، والقدرات المعرفية الـمُبدِعة، ويعود للعقل الـمُسلِم تألُّقه ونقاؤه" (العلواني، 2008، ص19).

حين يتحدَّث العلواني بشيء من التفصيل عن "العقبات الفكرية والثقافية التي تجعل من عمليات المراجعة والنقد المعرفي للتراث أموراً في غاية الصعوبة والحراجة"، فإنَّه لا يُخْفي تردُّدَه في محاولة مقاربة موضوع المراجعات، وتُحدِّثه نفسُه كثيراً بالانصراف إلى تلك الموضوعات السهلة التي تجد من الجماهير ترحيباً، ومن الهيئات تشجيعاً، ومن الناشرين ترويجاً، لكنَّه مع ذلك يشعر "أنَّ الانتماء لهذه الأُمَّة والالتزام بقضاياها لا بدَّ أنْ يتجاوز -عند علماء الأُمَّة ومُفكِّريها- حالة الخلاص الفردي إلى خلاص الأُمَّة، وبالتالي فليس لأحد من هذا النوع أنْ يُساير العقل الجمعي، أو يتبنّى فكرة كسب الجمهور لصالح الذات أو لصالح الحزب، فيكتم مراجعاته أو ما يراه تجاه قضاياها" (العلواني، 2008، ص47-49).

3. حديث التجديد والمجددين

وحين يتعامل العلواني مع حديث التجديد "إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهذِهِ الْأُمَّةِ عَلىٰ رَأْسِ كُلِّ مائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دينَها" (أبو داود، 1999، ص469)، فإنَّ التجديد عنده ليس تجديداً في الدين بمعنىٰ إضافة شيء جديد إلىٰ ثوابت الدين، أو اقتطاع شيء منه؛ إنَّه تجديد في التديُّن (العلواني، 2015، فيديو يوتيوب)، و"إحياء ما انْدَرَسَ من الكتاب والسُّنَّة... بإحياء الفرائض الـمُعطَّلة، وإزالة ما عَلِق بهذا الدين من الآراء الضالَّة والمفهومات الـمُنحرِفة... وإحياء الحركة العِلْمية في مجال النظر والاستدلال، والعمل علىٰ صياغة حياة الـمُؤمِنين صياغة إسلامية شرعية، وذلك بِفِقْه الواقع الـمُتجدِّد الـمُتغيِّر، (و) تشكيل وعي الـمُسلِم وفهمه وتصوُّراته وَفق عقيدة الإسلام من جديد...، (و) بِناء وعي إسلامي حضاري قِوامه العقل والوحي... إنَّه استلهامٌ للتاريخ الإسلامي، واستيعاب لسُنَن التطوُّر والتغيُّر... والأظْهَرُ عندي -والله أعلم- أنَّ الـمُراد بـ"مَنْ يُجَدِّدُ" ليس شخصاً واحداً، بل الـمُراد به جماعة يُجدِّد كلُّ أحد في بلد... في فَنٍّ أو عِلْمٍ من العلوم الشرعية ما تيسَّر له... والذي يترجَّح لديَّ أنَّ الـمُجدِّد في هذا الزمان يجب أنْ يتمثَّل في مجموعة أو هيئة، وهذا يعني بالضرورة إعداداً خاصّاً للدعاة الذي يعملون في ميدان الدعوة؛ ليكونوا في مُجمَلهم مُجدِّدين، وتصبح الهيئة بهم مُجدِّدة" (العلواني، د.ت1).

صحيحٌ أنَّ بعض العلماء اجتهدوا في فهم حديث التجديد بصورة تنسبه إلىٰ فرد مُحدَّد في كلِّ قرن، لكنَّ العلواني يرىٰ أنَّ الأصل في التجديد والاجتهاد "أنْ يكونا حالة عقلية ونفسية لمُجمَل الأُمَّة؛ لأنَّ الأُمَّة هي التي تحمل صفة الشهادة، وهي التي نفىٰ رسول الله ﷺ الاجتماع علىٰ الضلالة والخطأ، وهي التي وصفها القرآن المجيد بالوسطية والخيرية، وإلّا فإنَّ أملها في النهوض والانعتاق يبقىٰ بعيد المنال" (العلواني، 2008، ص37-38). وفي مُقترَحاته التجديدية لإصلاح التعليم الديني، يقترح العلواني مُقرَّراً دراسياً عن "حركات الإصلاح وفِقْه الاجتهاد والتجديد في مسار التاريخ الإسلامي"، مُبيِّناً أنَّ من أهمِّ عناصر هذا الـمُقرَّر النظرَ إلىٰ الاجتهاد بوصفه جهاداً فكرياً ونفسياً

وعقلياً، وأنَّه جاء لتحقيق التجديد، وتأكيد أنَّ التحقُّق من مُتطلَّباته إنَّما هو مسؤولية الأُمَّة، وأنَّه ينبغي أنْ يكون حالة عقلية ونفسية دائمة وثابتة، مُستمِرَّة لديها على مَرِّ العصور، وأنَّ من الـمُهِمِّ بيان علاقة فِقْه التجديد بدافعية الإصلاح ومُتغيِّرات الواقع (العلواني، 2009 أ، ص102–103).

وجدير بالملاحظة أنَّ الحديث عن التجديد عند العلواني وغيره لا يقتصر على استخدام لفظ "التجديد"، وإنَّما يتَّسع ليستوعب الألفاظ ذات الصلة المباشرة بالتجديد، لا سيَّما الإصلاح والمراجعة والاستدراك. ومع ذلك يبقى لفظ "التجديد" لفظاً أثيراً عند العلواني، حتّى إنَّه يدعو إلى ما يُسمّيه عِلْم التجديد، الذي يُؤكِّد عدم بقاء الحالة الراهنة للمجتمع والأُمَّة على ما هي عليه في أيِّ وقت؛ لأنَّ التغيير لا بُدَّ أنْ يحصل، ومن ثَمَّ يجب وضع ضوابطه، وبِناء تصوُّر مُحدَّد لِمُحدِّداته. ففي تقديمه لكتاب "تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت"، ذكر العلواني أهمِّيَة إعداد دراسات ضمن منهجية مُحدَّدة تكون بدايةً "لتأسيس عِلْم التجديد أو التغيير الإسلامي، أو بِناء تصوُّر إسلامي مُحدَّد أو مُتقارِب حول ضوابط التغيير في المجتمع الإسلامي، وَفقاً للشروط التي تكون قد وُضِّحت في دارسات وبحوث الباحثين، وانطلاقاً من التحديد الدقيق لخصائص الواقع الإسلامي المعاصر"(العلواني، 1995، ص20).

4. حركات التجديد والإصلاح

كثيراً ما نجد العلواني يربط مصطلح التجديد بمصطلحي الإصلاح والتغيير، ويتحدَّث عمّا يُسمّيه حركات التجديد والإصلاح، وما سعت إليه من "محاولة تجديد بعض الـمُؤسَّسات التاريخية، أو تجديد بعض الاتجاهات الفكرية التاريخية، أو إعادة النظر، أو مراجعة بعض الأفكار والأُطروحات" (العلواني، 2003، ص193–212). فحركات التجديد والإصلاح تهدف إلى التجديد في جوانب مُعيَّنة، أو إعادة النظر فيها، أو مراجعتها.

وقد كان العلواني يأمُل أنْ تتقدَّم حركات التجديد والإصلاح في العالَم الإسلامي بخطاب إسلامي تجديدي نوعي ذي مرجعية قرآنية واضحة، لكنَّه لاحظ أنَّ "حاضر العالَم الإسلامي لم

يتمكَّن، ولم يُسمَح له... بصياغة الخطاب الإسلامي التجديدي... وقد لا يرى الكثير من الدُّعاة ضرورة لذلك التجديد النوعي." وهذا الخطاب لا بُدَّ أنْ يعتمد في الأساس على "خطاب الإصلاح القرآني"، ولا بُدَّ أنْ يأخذ القرآن المجيد بأيدينا إلى صياغة "خطاب التجديد والتغيير" من أجل أنْ يتَّصف "خطاب الإصلاح والتغيير" بخصائص "الأُمَّة الشاهدة" و"الأُمَّة القُطْب" بخصائصها الذاتية ومُقوِّماتها الفكرية وشخصيتها الـمُتميِّزة، وليس بخصائص حركة، أو طبقة، أو فِرْقة، أو هيئة، أو مجمع، أو منظمة (العلواني، 2009 ت، ص25–29).

إنَّ المراجعة عند العلواني لا تقتصر على اكتشاف ما قد يكون من خَلَل، وإنَّما تشمل بذل الجُهْد اللازم لتشخيص الخَلَل وبيان أسبابه، ثمَّ تقديم الرؤية العلاجية والبديل. فعند مراجعته لِما هو معروف عن عِلْم أصول الفِقْه، وموقع المقاصد في هذا العِلْم، كان يرى ضرورة الاهتمام بهذا الموضوع، بحُكْم تخصُّصه الأصلي؛ فدرس موضوع المقاصد وتطوُّره التاريخي، وحاول أنْ يُقدِّم تصوُّراً جديداً للمقاصد ينسجم مع رؤيته التجديدية للقرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، واستقراء ما يتضمَّنانه من الكُلِّيات والحقائق الناظمة لِما فيهما من تشريعات وتوجيهات تُعبِّر عن وحدة الدين وطبيعة الرسالة الخاتمة؛ فطوَّر ما سمّاه منظومة المقاصد العُليا الحاكمة القرآنية، التي سوف يؤدّي تشغيلها "إلى غرس قابلية التجدُّد الذاتي في أصولنا وفِقْهنا... وأنَّ الاعتماد على هذه المنظومة سوف يساعد على بعث وإحياء وإطلاق طاقات التجديد والاجتهاد... وسوف ينقل مهام التجديد والاجتهاد إلى القاعدة العريضة للأُمَّة، وسوف يُحقِّق تغييراً كبيراً في العقلية والنفسية الإسلامية وطاقاتها" (العلواني، 2001، ص140–141).

وتتعزَّز قيمة هذه المقاصد بمنظومتها التي يقترحها العلواني من حقيقة "ابتنائها على الاستقراء التامِّ لآيات الكتاب الـمُحْكمة، ولكلِّ ما صَحَّ عن رسول الله ﷺ في بيانه، ولتلقّي العقول لها بالقبول... (و) يُمكِن أنْ تساعد على تطوير نظرية معرفة عامة في العلوم الشرعية كلِّها، وكذلك في العلوم الاجتماعية أو علوم العمران... فهي قادرة –ولا شكَّ– باعتبارها منظومة من إيجاد قاعدة

لفكر عالمي كوني؛ لأنَّها يُمكِن أنْ تتعامل مع المنهج العِلْمي، وتقوم عليه، بل وتستوعبه، وتُوظِّفه... (و) إخراجه من أزمته الراهنة والتصديق عليه وإخراج فلسفة العلوم الطبيعة من أزمتها كذلك" (العلواني، 2001، ص147–148).

فمنظومة المقاصد التي حدَّدها العلواني بالتوحيد والتزكية والعمران تصبح مدخلاً إلى التجديد في العلوم الإسلامية وسائر العلوم الأُخرى. وهو لا يَمَلُّ من تأكيد أنَّ المشروع التجديدي الإصلاحي في الفكر الإسلامي لا يُمكِن إلّا أنْ ينطلق من مرجعية القرآن الكريم والتدبُّر في مقاصده العُليا؛ لِبناء منهج تطوير الأفكار القادرة على تحقيق منظومة المقاصد كما يُمكِن استلهامها من القرآن الكريم.

ثانياً: التجديد في التعليم الديني

تحدَّث العلواني عن التجديد في مجال التعليم الديني في مناسبات مختلفة، لكنَّه أفرد دراسة تفصيلية لهذا الموضوع، حملت عنوان: "التعليم الديني بين التجديد والتجميد" (العلواني، 2009 أ). وقد بدأ العلواني حديثه في هذا الموضوع عمّا يُسمّيه "محاولات الإحياء والتجديد والإصلاح لمعارفنا الإسلامية... تجري في الداخل الإسلامي، وبمناهج وطرق ووسائل وأدوات إسلامية." وذكر في هذا الصدد أمثلة على ذلك من أعمال أبي حامد الغزالي في "إحياء علوم الدين"، وابن تيمية في "درء تناقض النقل والعقل"، ثمَّ ذكر ما حصل بعد "الاحتكاك الأخير بالغرب، وبَدْء عصر جديد للمثاقفة"، وتغيير نُظُم التعليم، وظهور إشكالية ازدواجية التعليم، فأصبحت جهود المراجعة والنقد تجري من نسق مُغايِر، "حتّى بلغ الأمر حَدَّ المناداة بإلغاء التعليم الإسلامي، وتجفيف منابعه، وتحميله مسؤولية تخلُّف الأُمَّة وظهور أفكار الغلوِّ والتطرُّف." وقد غدا الحال بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م أشدَّ وَطْأة على التعليم الإسلامي؛ إذ دخلت الدول والـمُؤسَّسات ومراكز البحوث الغربية على خطِّ العداء المباشر للتعليم الإسلامي، وهو ما شجَّع معظم حكومات العالَم الإسلامي – وإنْ بدرجات متفاوتة– على التساوق مع هذه الجهود العدائية.

والحقيقة أنَّ هذا التطوُّر الذي رافق واقع التعليم الديني والنظرة إليه مثَّل أحد حوافز العلواني للاهتمام بهذا الموضوع؛ بُغْيَةَ "إنصاف هذا النوع من التعليم، وبيان بعض مزاياه، مع الإقرار بضرورة مراجعته، والعمل على تجديده، لا إلغائه وتجاوزه"، مُؤمِّلاً أنْ يكون ما يُقدِّمه في هذا المجال "حافزاً لجميع أولئك الذين لديهم خبرات وتجارب ناجحة في تطوير هذا النوع من التعليم أنْ يكتبوا وينشروا خبراتهم ومُقترَحاتهم لإصلاح وتجديد هذا النوع من التعليم" (العلواني، 2009، ص9-10).

ثمَّ تحدَّث العلواني بشيءٍ من التفصيل عن تجربته وخبرته الشخصية في التعليم الديني الإسلامي، بما سمّاه رؤية من الداخل وتجربة ذاتية، مُستعرِضاً هذه التجربة في الحديث عن دراسته في الكُتّاب، وفي حلقات عدد من المشايخ، وعن نشأته في بيئة تربوية دينية، ثمَّ عن تعليمه الديني الأزهري، ثمَّ عن تجربته في التدريس في بيئة مذهبية صارمة، ثمَّ عن تجربته التجديدية في تطوير البرامج التعليمية التي مارسها بنفسه (العلواني، 2009، ص24-86).

وبعد أنْ تحدَّث العلواني عن تفاصيل واقع التعليم الديني الإسلامي كما عرفه مُتعلِّماً ومُعلِّماً في المراحل المختلفة، عرض خُطَّة لإصلاح هذا التعليم عن طريق اقتراح عدد من الـمُقرَّرات الدراسية، شارحاً شيئاً عن أهداف كلِّ مُقرَّر وعناصر محتواه، فبدأ باقتراح ستة مُقرَّرات تمهيدية لجميع التخصُّصات، يُمكِنها أنْ تُسهِم -وَفق الخُطَّة- في وضع تعليم مُقرَّرات التخصُّص في العلوم الدينية في مكانها الصحيح. وهذه المواد هي: نظرية المعرفة الإسلامية، ومناهج البحث العِلْمي، ومنهجية الحوار والتفاعل المعرفي، والتاريخ الإسلامي ومساره بين حركات الإصلاح وفِقْه الاجتهاد والتجديد، والعالَم الإسلامي في النظام الدولي وخصوصياته، والعلاقة بين الدين والحضارة (العلواني، 2009، ص91-112).

ثمَّ وضع العلواني برنامجاً خاصّاً للدراسات المنهجية القرآنية العُليا في كلِّ تخصُّص. فمثلاً، اقترح لبرنامج التخصُّص في علوم القرآن الكريم ثماني مواد، هي: التعريف بالقرآن المجيد، والتفسير ومدارسه واتجاهاته، والقرآن والإيمان، والقرآن وعِلْم الاجتماع الديني، والقرآن ومشكلات العالَم

المعاصر، والنُّبُوَّة ونظريات السياسة في القرآن، وبرنامج تدريبي في مناهج النظر ومهارات البحث، وبرنامج تدريبي في دراسات المرأة من منظور إسلامي معاصر (العلواني، 2009، ص113–136). في حين اقترح لبرنامج تخصُّص الفِقْه وأصوله تسعة مُقرَّرات، هي: أصول الفِقْه وموقع الاجتهاد والتجديد فيه، والفِقْه المقارن، والقوانين الوضعية وتحكيم الشريعة، ومُقرَّران في مقاصد الشريعة، وحاكمية القرآن وشريعته وخصائصها ومقاصده العُليا وكلياته، والمراجعات ومناهج التفكير وفِقْه الحِجاج، ودراسات في الفتاوى، ومادة القرآن وعِلْم النفس التربوي (العلواني، 2009، ص137–171).

وقد اختتم العلواني دراسته عن التجديد في التعليم الديني بالقول إنَّ للبرامج التي اقترحها لهذا التجديد مجموعةً من الأهداف، أهمُّها: بيان العلاقة بين القرآن المجيد والسُّنَّة النبوية والتراث الإسلامي، وطبيعة كلٍّ منها، وإدراك صور التفاعل بين النصِّ والخبرة الحضارية الإسلامية والخبرة البشرية المعاصرة، مُؤكِّداً أنَّ "الرجوع إلى مصادر تكوين أُمَّتنا وهُوِيَّتنا وتراثنا كفيل بمساعدة علمائنا وباحثينا على صياغة خطاب تجديدي معاصر، يستوعب الثنائيات الـمُتقابِلة الـمُتصارِعة: التراث والحداثة، الأصالة والمعاصرة، التجديد والتقليد..."، وأنَّ هذه المراجعة "لتراثنا في ضوء مرجعية الوحي لن تقتصر فوائدها على تصحيح مسار خطابنا العربي المعاصر، بل ستؤدّي إلى الكشف عن مداخل استيعاب وتجاوز الخطاب العالمي المعاصر" (العلواني، 2009، ص174–177).

وهكذا فإنَّ الدعوة إلى التجديد في التفكير والممارسة عند العلواني في مسألة التعليم الديني كانت قائمة على رؤيته من داخل هذا الميدان، وتجربته الذاتية في التعلُّم والتعليم، وممارسته العملية في التجديد فيه، بوضع البرامج والـمُقرَّرات الدراسية وتطبيقها مُدَّة اثني عشر عاماً. واعتماداً على هذه الرؤية، فإنَّ العلواني لم يكتفِ بتقديم هذه الخبرة والتجربة التجديدية، بل عرض استعداده "لنقل خبراتنا وتدريب كوادر الـمُؤسَّسات الراغبة في تبنّي هذا البرنامج إليها في بلدانها" (العلواني، 2009، ص86).

ولم يُنكِر العلواني أهمِّيَة المحاولات التجديدية التي قامت بها الحركات الإصلاحية الحديثة، لكنَّه أشار إلى بعض صور الخَلَل التي رافقت تلك المحاولات، مثل: معالجة أمور والغفلة عن أمور أُخرى،

والاهتمام بمعالجة ظواهر الأزمة لا أسبابها، والانطلاق من مُسلَّمات هي نفسها تحتاج إلى مراجعة؛ فقد ظنَّت بعض حركات الإصلاح والتجديد أنَّ تراث الأُمَّة في العقيدة والمنهج والفكر والشِّرْعة كلَّه كان بخير، وأنَّ المسألة تقتصر فقط على التخلُّف في الجانب المادي (العلواني، 1994ب، ص31-33).

وقد رأى العلواني أنَّ مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي يقتضي بِناء العقلية العِلْمية لتغدو عقلية منهجية هدفها أنْ "تصبح عمليات التحليل والنقد والتفسير هي الإطار الأعمق والأشمل للحركة الفكرية في تعاملها مع النصوص الكونية والمحلية. وبهذه المنهجية يُمكِن النفاذ إلى مقاصد القرآن المجيد وفهم السُّنَّة النبوية دون الوقوع في إطار العقلية التقليدية السكونية، أو التأويلات الباطنية، أو تلك المحاولات التي تحاول إحداث تعديلات أو تأويلات لتطبيقات الماضي؛ لتعيد إنتاجها في الحاضر، فتكون بمثابة تعبير عن الماضي في ثوب جديد. وذلك لا يُحقِّق التجديد الذي (ننشده) بإعادة الارتباط بالقرآن العظيم بوصفه المصدر الإنشائي الوحيد، وبالسُّنَّة بوصفها المصدر التفسيري الـمُلزِم الوحيد كذلك، ولا يُحقِّق هذا النوع من التجديد عالمية الهدى ودين الحَقِّ" (العلواني، 2009 ت، ص210).

وعلى ذلك، نجد العلواني يُكرِّر تأكيده للمعنى الذي يفهم به قضية التجديد والتغيير في واقع الأُمَّة؛ "فقضية التجديد والتغيير أكبر من تجديد محدود يستمرُّ في دائرة الفِقْه أو أصول الفِقْه، وأكثر من عملية إعادة تقديم تراث بِلُغة عصرية، أو افتعال تفسيرات تاريخية مُقيَّدة بعصرها لتنـزيلها على واقع مُغايِر، أو مُحاوِلاً توفيق لِـما بدا لدى بعضهم من خلال سببيَّته مُتعارِضاً مع النصوص. فالتعارض لا يقع إلّا في أصل الفهم البشري، ولا يُمكِن أنْ يقع في نصوص الكتاب المجيد المحفوظ بحفظ الله تعالى. إذاً، فأُولى البدايات لإحداث التغيير وتحقيق النقلة النوعية للمجتمع وفي كلِّ الاتجاهات، إنَّما تبدأ بإعادة قراءة النصِّ القرآني، وفهمه ضمن متاحات واقع معاصر... وهنا لا بُدَّ من مراجعة سائر المحاولات والجهود التي تمَّت في هذا السبيل (قديماً وحديثاً)، في محاولةٍ لدراستها وتحليلها ونقدها، واستخلاص العِبَر والدروس في محاولةٍ لبِناء فكر ومعرفة وثقافة التجديد والتغيير

القائم على قراءة كتاب الله وتلاوته وحُسْن فهمه وتدبُّره مع قراءة الكون، مضافاً إليهما فهم مغازي ومقاصد ومنهجية سُنَّة رسول الله ﷺ في الربط بين قِيَم القرآن وبين الواقع المعاش، وآنذاك تبدأ حركة التغيير اتجاهها الصحيح" العلواني، 2003، ص210–211).

ومن صور التجديد عند العلواني مراجعةُ مصطلحات التراث لنفي بعض المعاني التي التصقت بالألفاظ بسبب ملابسات البيئة التاريخية التي وُضِع فيها المصطلح، ولم يكن ثَمَّة مشكلة وقتها. غير أنَّ الالتباس الذي يقع في دلالة المصطلحات ببيئات تاريخية لاحقة يجعل من الـمُهِمِّ التجديد في التعبير عن المقاصد بصورة تتجنَّب الالتباس، وليس ثَمَّة مشكلة في مراجعة ألفاظ الفقهاء، لا سيَّما إذا جرى ذلك استناداً إلى الألفاظ والمصطلحات القرآنية. فمثلاً، نظر العلواني في اصطلاح الفقهاء أنَّ الشريعة موضوعة لمصالح العباد بإطلاقٍ اعتماداً على نصِّ الشاطبي: "معلوم أنَّ الشريعة وُضِعت لمصالح الخَلْق بإطلاقٍ"، مُؤكِّداً صِحَّة هذا القول، لكنَّه رأى أنَّ صياغته بهذه الصورة –في الثقافة المعاصرة– رُبَّما توهِم بقبول دلالات المعنى ضمن النسق الثقافي الغربي الـمُهيمِن. ولذلك اجتهد العلواني في استخدام عبارة عَدَّها الأحوط في السياق المعاصر، كأنْ يُقال: "إنَّ الشريعة أُنـزِلت لتعين الإنسان، وتُرشِد حركته في الأرض، وتضع له الضوابط التي تجعله قادراً على الوفاء بالعهد الإلهي، والقيام بمَهَمَّة الاستخلاف، والتمكُّن من القيام بحَقِّ الأمانة، والنجاح في امتحان الجزاء. وكلُّ ما ذكرنا مصالح للعباد، ومقاصد للمعبود" (العلواني، 2025، فيسبوك).

وكما اجتهد العلواني في إعادة النظر في بعض المصطلحات أو العبارات من مادة التراث، فإنَّه تحفَّظ على بعض الاستعمالات الحديثة، مثل عبارة "تجديد الخطاب الديني"، لأنَّ هذه العبارة أخذت تُستعمَل بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م في المجتمعات الإسلامية –في ظلِّ ضغوط خارجية– بعد أنْ "حُمِّل الإسلام والـمُسلِمون مسؤولية إشاعة الإرهاب، وعرقلة الديمقراطية، وانتهاك حقوق الإنسان، وتدمير بعض القِيَم العالمية." ولذلك فضَّل العلواني استعمال عبارة "تجديد الخطاب القِيَمي" (العلواني، د.ت3).

وكلَّما لاحت مناسبة مُتخصِّصة لتناول موضوع التجديد، كما في مناسبة دعوته إلى المشاركة في ندوةٍ بالأزهر الشريف في القاهرة، حملت عنوان: "الندوة التحضيرية لمؤتمر التجديد في الفكر والعلوم الإسلامية"، وجدناه يُوظِّف المناسبة لتأكيد رؤيته في وضع مسألة التجديد ضمن إطارها الكُلِّي العام، مُتجاوِزاً القضايا الجزئية الخاصَّة بعلاقة التجديد بالاجتهاد وشروطه، واستنباط الأحكام والفتاوى للنوازل والـمُستجدّات. فيُؤكِّد -على سبيل المثال- أنَّ مسألة التجديد سُنَّة إلهية تتجلّى فيها رحمة الله بالإنسان وهدايته. فالأنبياء جميعاً كانوا في عِداد الـمُجدِّدين؛ لأنَّ طبيعة البشر إذا طال عليهم الأَمَد قست منهم القلوب، واحتاجوا إلى التجديد. ولكنَّنا بعد ختم النُّبُوّات برسالة الإسلام، أصبح تجديد الدين هو تجديد تديُّن الـمُسلِمين؛ لأنَّ الدين وضع إلهي، لا يملك أحد من الناس أنْ يحذف منه، أو يضيف إليه. وإذا كان القرآن الكريم قد جاء "مُصدِّقاً لِـما بين يديه، ومُهيمِناً عليه"، فإنَّه يريد إعادة دين الله إلى حالة الصِّدْق بعملية التنقية والتزكية وإزالة ما طرأ من تحريف (العلواني، 2015، فيديو يوتيوب).

وقد أشار العلواني في الندوة المذكورة آنفاً إلى أنَّ الأُمَّة اليوم أمام مشروعين للتجديد؛ أوَّلهما: مشروع غربي تدفع إليه الحضارة الـمُهيمِنة ورؤيتها وثقافتها بدعوى العالمية التي تتَّصف بها العلوم المعاصرة في السياسة والاقتصاد والتربية وشؤون الأُسْرة وغير ذلك؛ ما يتسبَّب في اضطراب الهُوِيَّة الإسلامية، وتبديل خصائص الشخصية الإسلامية، وترسيخ التبعية الثقافية والتخلُّف الحضاري. وثانيهما: مشروع تجديدي إسلامي نابع من كتاب رَبِّنا، وسُنَّة نَبِيِّنا، يحترم تراثنا، ويُراجِعه على هدي الكتاب والسُّنَّة، ويجيب عن أسئلة الواقع المعاصر. وفي رأي العلواني، فإنَّ المشروع التغريبي في التجديد لن يجد طريقه إلى النجاح؛ لأنَّ الأُمَّة تمتلك المناعة من التبعية الكاملة، ولا تملك إلّا بذل مزيد من الجُهْد لتحقيق المشروع الإسلامي في التجديد، ومن ثَمَّ يأمُل العلواني أنْ يتمكَّن الأزهر من الإسهام في تحقيق هذا المشروع (العلواني، 2015، فيديو يوتيوب).

إنَّ مفهوم التجديد عند العلواني يتَّصل باتجاه الأُمَّة إلى النهوض والإصلاح والتغيير، ويقتضي "تجديد الرؤية... (و) إصلاح مناهج التفكير لدى الأُمَّة، وتصحيح عالَم أفكارها، وإعادة ربط

أفكارها ومناهج تفكيرها ونماذجها المعرفية، ومن ثَمَّ ثقافتها بأصولها... وعليه يكون مفهوم التجديد والنهوض عندنا تعبيراً عن التطلُّع الدائم لدى الإنسان في زمانه ومكانه لأنْ يستوعب كلَّ ما يُنتِجه الواقع الذي يعيشه، ويُبرِز الإمكانات التوليدية لتحقيق ذلك الاستيعاب في خطابه؛ ليكون قادراً على التعامل مع مُستجدّات الحياة وتحدِّياتها" (العلواني، د.ت2).

ثالثاً: علاقة العقلية النقدية بالجهود التجديدية للعلواني

ترتبط جهود العلواني التجديدية بعقليته النقدية التي اشتُهِر بها بين أقرانه من الأزهريين. ومع ذلك يتعيَّن علينا -إذا سلَّمنا بضرورة الاجتهاد والتجديد في بِناء حياة الأُمَّة على منهج الإسلام- الوعي الـمُستمِرُّ بمسألتين:

المسألة الأولى: التأكُّد من سلامة فهمنا لمرجعية ذلك المنهج، مُمَثَّلةً في نصوص القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، وهي نصوص يتطوَّر فهمنا لها عن طريق مراجعة فهم السابقين ومعرفة أدلَّتهم، ثمَّ اختبار تجربة تنـزيلها في مواقف الحياة ومشكلاتها الـمُتجدِّدة؛ فقد يؤدّي ذلك إلى فهم جديد يتضمَّن استدراكاً على أشكال الفهم السابقة، أو تطويراً لفهم جديد أكثر انسجاماً مع مقاصد تلك النصوص والكُلِّيات؛ إذ تُسهِم طبيعة المشكلات الـمُتجدِّدة ومسارات التعامل البصير معها في بِناء هذا الفهم الجديد. وهذا لا يعني بالضرورة الحُكْم بالخطأ على أشكال الفهم السابقة بقَدْرِ ما يعني صلاحيةَ أصول الدين للتطبيق في الظروف الـمُتجدِّدة في الزمان والمكان وحالة الإنسان، بوصف هذا الدين هو الدين الخاتم، وانفتاح دلالات نصوصه على تعدُّد المعاني الـمُمكِنة، فيكون هذا الانفتاح وجهاً من وجوه الإعجاز (عرار، 2000؛ الديات، 2006)، وبقَدْرِ ما يعني ذلك كذلك الحاجةَ إلى العودة إلى تلك الأصول وإعادة قراءتها من أجل إعمالها في الحياة المعاصرة. وقد يتضمَّن ذلك إحياء ما انْدَرَسَ أو نُسِيَ من دلالاتها ومقاصدها، وتقويم ما انحرف من تطبيقاتها، والتعامل مع النوازل الـمُستجدَّة، والوقائع الـمُتغيِّرة. ورُبَّما يَلزم الاستدراك هنا بالقول إنَّ انفتاح الدلالة في مجالاتها اللغوية المختلفة لا

يعني إلقاء القول دون ضوابط؛ فلا بُدَّ أنْ يبقى الأمر محكوماً بما هو معروف من الدين بالضرورة، ويتَّسق مع مبادئه العامَّة ومقاصده الكُلِّية.

إنَّ تجديد القراءة، والتفكُّر في مقاصد النصوص بوصفها نصوص الدين الخاتم، سيعطينا الثقة بأنَّ هذه النصوص ليست متناهية في مُقابِل وقائع مُتجدِّدة كما تبادر إلى أذهان بعض العلماء، وإنَّما هي نصوص مفتوحة الدلالات على الوقائع الـمُتجدِّدة. وفي هذا الصدد، ذكَّر العلواني قُرّاءَه بما أدركه الشافعي من أنَّ في كتاب الله تعالى من الهدى الذي يعالج أيَّة نازلة تنـزل بالناس، حين قال: "فليست تنـزل بأحد من أهل دين الله نازلةٌ إلّا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها." ثمَّ استشهد الشافعي بعدد من الآيات الكريمة، منها قوله ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89] (الشافعي، 1938، ص20).

والمسألة الثانية: التأكُّد من سلامة فهمنا للواقع الذي نريد تنـزيل النصوص فيه وعليه؛ فالواقع المعاصر مُعقَّد أشدَّ التعقيد، وتتلبَّسه كثير من معطيات الطبائع والوقائع التي تغيب عن كثير من الناس، ورُبَّما تُؤثِّر في فهمنا له عوامل مُتعدِّدة من التعمية والتشويه والتزييف التي تُسهِم فيها الثقافة السائدة، وتُعمِّقها مناهج التنشئة والتعليم والإعلام.

وبذلك يكون استمرار تجديد قراءة النصوص في ضوء مقاصدها الهادية، واستمرار تجديد قراءة الواقع بعناصره وتعقيداته. والحكمة والبصيرة في تنـزيل النصوص على الواقع هو ما قد يكشف عمّا نُسِيَ وانْدَرَسَ من المعاني، وما انحرف من الممارسات، وذلك هو معنى التجديد في الدين.

إنَّ مِثْلَ هذا التجديد في قراءة النصوص لا يُمكِن أنْ يتحقَّق إلّا بعقلية نقدية فاحصة، تأنف من التقليد، وتتجاوز العكوف على المألوف والمحفوظ، وتكتفي بظواهر النصوص دون الغوص فيها لفهم غاياتها واستلهام مقاصدها. ومِثْلُ هذا التجديد في قراءة الواقع لا يتحقَّق إلّا بتلك العقلية النقدية الفاحصة التي تُحسِن فهم الواقع ومُؤثِّراته وتعقيداته، بما فيه من وقائع وطبائع، والعوامل

الـمُؤثِّرة فيه (الذاتية والموضوعية، الداخلية والخارجية)، وما يحتاج ذلك كلُّه من حُسْن التعامل مع السائد بين الناس من ثقافة وأفكار ومشاعر، وما يَلزم ذلك كلَّه من تعليم وتأهيل وتهيئة.

وقد كَثُرَ الحديث عن حاجة التراث الإسلامي إلى إعمال العقلية النقدية فيه، والحاجة إلى النظر إليه بوصفه إنتاج العلماء في ظروف الزمان والمكان التي أدّوا فيها فريضة وقتهم في الاجتهاد والتجديد. غير أنَّ ذلك لا يعني أنَّ التراث الإسلامي كان خالياً من التجديد والمراجعة والنقد والاستدراك؛ فحَسْبنا أنْ نتذكَّر أنَّ نشأة علوم التراث ونموَّها وتطوُّرها كانت أمثلة على التجديد العِلْمي والفكري، الذي قادت إليه عمليات النقد والرَّدِّ والاستدراك والمراجعة بين العلماء، وما نشأة مذهب جديد في الفِقْه مثلاً إلّا مثالٌ تجاوز فيه إمام المذهب الجديد جهود مَنْ سبقه بالنقد والمراجعة والاستدراك، وما عمليات التصحيح والتضعيف والتوثيق وعِلْم الرجال وعِلْم العِلَل في علوم الحديث إلّا أمثلةٌ على ممارسة النقد في المتن والسند؛ سعياً للكشف عن الأنواع المختلفة من الخَلَل والقصور في الرواية.

والتجديد حين يُنسَب إلى الجُهْد البشري يكون في مستويات مُتعدِّدة، فمنه الكشف عن شيء من الخَلَل في حُكْم أو رأيٍ استقرَّ الأخذ به عند أكثر العلماء، دون أنْ يعني ذلك أنَّ هذا الـمُجدِّد الذي اكتشف الخَلَل معصوم من الوقوع فيه، ودون أنْ يكون قادراً بالضرورة على حَلِّ المشكلة التي أحدثها هذا الخَلَل، ودون الحاجة إلى الاعتذار لعالِـمٍ وقع منه الخَلَل بالإطناب من التنويه بفضائله.

إنَّ أبرز ما تميَّز به العلواني هو عقليته النقدية التي مارسها في مواقف كثيرة من حياته، حتّى قبل أنْ يُعرَف في مجال التأليف والكتابة. وقد تمثَّلت هذه العقلية النقدية عند العلواني بقدرته على استيعاب المادة التي يَدْرسها إلى الحَدِّ الذي يُمكِّنه من تحليل مضامينها وإدراك ما قد يكون فيها من خَلَل وقصور. وقد ظهرت بعض ملامح هذه العقلية النقدية في أُطروحته للدكتوراه عن فخر الدين الرازي، التي نوقِشت عام 1973م، حين لمسه العلواني بنقد يسير أثناء المناقشة، فتصدّى له أحد أعضاء لجنة المناقشة بالقول: "مَنْ أنتَ حتّى تستدرك على الإمام الرازي، وأنّى لك أنْ تُطاوِل أولئك العمالقة؟!" وظهر ذلك أيضاً أثناء تدريسه في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، عندما رغبت

الجامعة في طباعة الأُطروحة المذكورة آنفاً بعد فحصها؛ إذ "اكتشف" الفاحص وجود بعض الملاحظات النقدية التي وجَّهها العلواني إلى الإمام ابن تيمية، فثارت الثائرة على العلواني، وكادت أنْ تفصله من الجامعة (العلواني، 2017، ص11–12).

غير أنَّ العقلية النقدية عند العلواني تجلَّت بصورة أكثر بروزاً في ما كتبه بعد تسعينيات القرن العشرين الميلادي، بعد التطوُّر الذي اعترف أنَّه مَرَّ به، وبعد أنْ أخذ يمارس مشروعه في "مراجعة التراث بنور القرآن". ولم تتوقَّف عقلية العلواني النقدية عند الحُكْم على آراء الآخرين أو مواقفهم، وإنَّما شملت نقده لنفسه ومراجعته لآرائه ومواقفه. ويشهد كاتب هذه السطور أنَّه سمع من العلواني حديثه عن نفسه في مواقف عملية ومسائل عِلْمية أنَّه كان قد جانبه الصواب. وقد تحدَّث عن هذه النقلة بقَدْرٍ من البيان والتفصيل في مُقدِّمة كتابه "من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف"، واصفاً حالته العِلْمية حين كتب "أدب الاختلاف في الإسلام" الذي نُشِر أوَّل الأمر عام 1985م،[6] وكيف تحوَّل عن تلك الحالة؛ إذ تحدَّث عن ذلك عام 2017م، قائلاً:

"حين نعرض هذا الكتاب اليوم (يقصد أدب الاختلاف في الإسلام) على قاعدة "مراجعة التراث في نور القرآن" نجد أنَّه صدر في وقت كنْتُ فيه مُحافِظاً وتقليدياً لا أختلف عن أيِّ أزهري تخرَّج في الأزهر في مرحلة تخرُّجي فيه؛ فالسلف سَلَفٌ، كأنَّ الأصل فيهم أنَّهم لا يُخطِئون، والـمُتأخِّرون خَلَفٌ، كأنَّ الأصل فيهم الخطأ. ولذلك لا يستطيع القارئ أن يجد فيه دعوتي إلى مراجعة التراث وتجديده في نور هداية القرآن، التي يستطيع القارئ أنْ يَلْحظها في سائر كتاباتي التي صدرت في التسعينيات وما تلاها. ومن ثَمَّ، فإنَّ كتابي هذا (يقصد أدب الاختلاف في الإسلام) وكلَّ ما سبقه أصبح يحتاج إلى مراجعة فكرية ومنهجية تتناسب مع قاعدة تحكيم القرآن في كلِّ ما أنتجناه ونُنتِجه. ولإظهار بعض النقاط التي سقطْتُ فيها، أستطيع

[6] نُشِر الكتاب أوَّل مَرَّة أواخر عام 1984م (1405هـ)، ضمن سلسة كتاب الأُمَّة التي تُصدِرها رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر. وقد لقي الكتاب رواجاً واسعاً؛ إذ أُعيد طبعه مَرّات لم يستطع الـمُؤلِّف إحصاءها، ثمَّ نشره المعهد العالمي للفكر الإسلامي عام 1987م، إضافةً إلى عدد من دور النشر. وقد تُرجِم الكتاب إلى ثماني عشرة لغة.

أنْ أذكر الأمثلة التالية..."، ثمَّ فصَّل العلواني القول في مراجعته لاثنتي عشرة مسألة مِمّا ورد ذِكْرها في ذلك الكتاب، مُبيِّناً سبب وقوعه في ما يَعُدُّه الآن من أخطائه؛ إذ قال:

"إنَّ ذلك كلَّه جعلني أنظر إلى أنَّ (طه العلواني) الذي كتب "أدب الاختلاف" قبل ما يقرب من أربعين عاماً قد تغيَّر، واهتدى بالقرآن الكريم إلى مواقف لم يُوصِّله التراث إليها؛ فأنا اليوم صاحب منهج أدور مع القرآن حيث دار، وألتزم بكلِّ ما نـزل على قلب محمد ﷺ، ثمَّ فاض على جوارحه منهجاً واتِّباعاً وبِناءً. ولذلك، فإنَّني أستغفر الله لِـما قدَّمْتُ وأخَّرْتُ، وأُعلِن هذا على الملأ، لعلَّ الله ﷻ يغفر لي ما بدر منّي، ويكون مع نِيَّتي -التي كانت وما تزال خالصة له- لا مع ما وقع منّي. وقد رأيْتُ أنْ أتقدَّم بهذا إلى طُلّابي وإخواني؛ ليعلموا أنَّ المراجعات بالفعل ضرورية" (العلواني، 2017، ص13-28).

وقد أعمل العلواني عقليته النقدية في بعض مسائل التراث، وفي تطوير فهمه لهذه القضايا، وفي ملاحظاته على ممارسات العمل الإسلامي الحركي والتنظيمي. وفي سياق الحديث عن هذه الملاحظات، أجد من المناسب أنْ أُشير إلى شيء من مضامين حواراتي مع العلواني، وهو حرصه على أمرين؛ الأوَّل: ضرورة تميُّز مُؤسَّسة المعهد وخطابها الإسلامي، بوصفها مُؤسَّسة فكرية ذات أُفق عالمي، عن الـمُؤسَّسات والحركات والتنظيمات الإسلامية الأُخرى، التي تتَّصف بالتصاقها بالواقع العملي والسياسي للمجتمعات المحلية التي تعمل فيها، وغَلَبة العلاقة الحزبية فيها. والثاني: ضرورة استهداف جمهور هذه الحركات؛ لكيْ نُقدِّم له ما يَلزمه من وعي فكري. وهذا يقتضي بِناء جسور الثقة مع مَنْ يُعَدُّ من القيادات الفكرية فيها.

فمن هذا الحرص كان العلواني يُقدِّم نقده وملاحظاته على هذه الحركات، ويُنبِّه على الأبعاد الغائبة عن فكرها وممارساتها. ومن ذلك أنَّه قدَّم محاضرة في "الندوة الثانية عن "مُستجدّات الفكر الإسلامي" في الكويت عام 1992م، حملت عنوان: "أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة"، ثمَّ أعاد إلقاء هذه المحاضرة بتوسُّع في معهد التفاهم الإسلامي

IKIM في ماليزيا عام 1994م. وقد أشار إلى أنَّ اكتشاف الأبعاد الغائبة يحتاج إلى تقييم نقدي لفكر الحركات الإسلامية وممارساتها، قياساً إلى الأهداف والغايات التي جاء من أجلها الإسلام، وفي قِمَّتها إخراج الأُمَّة القادرة على إخراج الناس من الظلمات إلى النور. وعلى هذا النحو بدأت المحاضرة بالتذكير بالخصائص العامَّة لرسالة الإسلام؛ لحاجة الحركات الإسلامية إلى مراجعة فكرها وممارساتها في ضوء هذه الخصائص في أُفقها العالمي، حتّى لا يبقى خطابها خطاباً جغرافياً قومياً محلِّياً.

وقد ألحَّ العلواني على أنْ تُدرِك الحركات الإسلامية أنَّ واقع الأُمَّة لا يتحدَّد في مجموعة من العوامل المحلية، وإنَّما يتَّصل بمُتغيِّرات فكرية ومعرفية وسياسية واقتصادية، تُشكِّل واقع العالَم كلِّه بحُكْم نظام العالَم المعاصر، وطبيعة العوامل الفاعلة فيه. وكثيراً ما تغيب هذه الحقيقة عن فكر الحركات الإسلامية المعاصرة وممارساتها. ولهذا، فغياب هذه الـمُتغيِّرات -في أبعادها العالمية- رُبَّما أدّى إلى الاكتفاء باللجوء إلى فكر المقاربات والمقارنات، والظَّنِّ بأنَّ الحركة وحدها هي منْ يملك الحقيقة، ومن ثَمَّ تُسقِط قداسة النصِّ على فكرها، وأنَّ مُجرَّد وصولها إلى السُّلْطة سيَحلُّ مشكلة الأُمَّة. ثمَّ إنَّ اجتياح الفكر الحزبي الذي جعل هذه الحركات تنظيمات مُفارِقة للأُمَّة سهَّل محاصرتها وعزلها وضربها.

لكنَّ العلواني رأى أنَّ الغائب الأكبر من هذه الأبعاد الغائبة هو الفهم المنهجي الذي يعتمد بعض المبادئ، مثل: الجمع بين القراءتين، وختم النُّبُوَّة، وحاكمية القرآن وهيمنته، والاجتهاد الجماعي، وتطوير فِقْه التديُّن، وحُسْن تنـزيل النصِّ على الواقع (العلواني، 1996أ).

رابعاً: تجديد العلواني في الاهتمام بالمنهج والمنهجية

إنَّ الحديث عن المنهج والمنهجية حديث جذّاب، يستهوي الكاتب والقارئ في آنٍ معاً، لا سيَّما في الكتابات الفكرية عن الاجتهاد والتجديد؛ سواء في الدائرة الإسلامية، أو الدوائر الحداثية

العِلْمانية. ومن جانب آخر، فإنَّ الحديث عن المنهج والمنهجية يتَّصل بالبحث الفلسفي في سائر الدوائر الفكرية؛ سواء أكان ذلك في مجال الكتابات التاريخية، أم في ما يختصُّ بالمحاولات الإصلاحية. وقد كرَّر العلواني الإشارة إلى جهود مصطفى عبد الرازق وتلميذه علي سامي النشار في مجال الحديث عن الفلسفة الإسلامية والمرجعية الإسلامية للمنهج في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، ثمَّ في عِلْم الكلام وعِلْم أصول الفِقْه (العلواني، 2014، ص230، 256). ونحن نشير في هذا الـمَقام إلى ما قرَّره علي سامي النشار من أنَّ الأُمَّة الإسلامية "أنشأت منهجها. بل كان المنهج –قد تكوَّن منذ البَدْء– مُستنِداً على القرآن والسُّنَّة، مُعبِّراً عن روح الإسلام الحقيقي. (و) إنَّ البعث الحقيقي للروح الإسلامية وللأُمَّة الإسلامية هو العودة الكاملة لهذا المنهج، وهو الأخذ بنصوص القرآن والسُّنَّة، والعودة إلى قانونها" (النشار، 1965).

وقد قال عبده الراجحي في تصديره الطبعة الثالثة من كتاب أستاذه علي سامي النشار: "وكان أستاذنا النشار قد تتلمذ للشيخ مصطفى عبد الرازق الذي كان... يرى أنَّ "المنهج" الإسلامي الحَقَّ ينبغي تلمُّسه في عِلْمين أصيلين، هما: عِلْم أصول الفِقْه، وعِلْم الكلام. وقد أخذ أستاذنا النشار عنه هذا الاتجاه، ولكنَّه هو الذي طوَّره، وجعله نظرية مُتماسِكة... واستطاع أنْ يُوجِّه تفكير عدد من الباحثين في جيلنا (ومنهم صاحب هذه السطور) إلى دراسة الفكر الإسلامي في إطار المنهج العام لأصحاب الأصول ولعلماء الكلام" (النشار، 1965، ص6).

وتأتي إشارتنا في هذا الـمَقام إلى جهود العلواني في البحث عن المنهج في سياق حديثنا عن جهوده التجديدية الخاصَّة بالمنهج تحديداً. ومن الـمُؤكَّد أنَّ مفهوم المنهج لم يكن غائباً عن فكر العلواني، حتّى قبل أنْ يُكثِر من استعمال مصطلح المنهج، أو يُفرِد له كتابة خاصَّة. ونستطيع أنْ نشير إلى حضور مفهوم المنهج في عنوان أحد بحوثه المبكرة، وهو: "أصول الفِقْه الإسلامي: منهج بحث ومعرفة"؛ فقد أوضح في مُقدِّمة هذا البحث أنَّ أصله كان من بين مجموعة الدراسات الأصولية التي اشتمل عليها قسم الدراسة من رسالته لنيل درجة الأستاذية (الدكتوراه) في جامعة الأزهر عام

1392هـ/ 1973م، ثمَّ أسبغ عليه التعديلات المناسبة لتقديمه في المؤتمر العالمي الثاني للفكر الإسلامي (إسلامية المعرفة) الذي عُقِد في إسلام أباد بالباكستان عام 1401هـ/ 1982م.

والبحث الـمُشار إليه كان يُعبِّر عن حالة العلواني في ذلك الوقت الـمُبكِّر من مرحلة تطوُّره الفكري، وهي الحالة التي وصف فيها نفسه بالقول إنَّه كان "أزهرياً، تقليدياً، مُحافِظاً، خطيب جمعة، واعظاً..."، فما ورد في ذلك البحث إنَّما هو استعراض تاريخي تقليدي لتطوُّر عِلْم أصول الفِقْه، لكنَّه قرَّر حاجة هذا العِلْم إلى إعادته إلى وضعه الصحيح بين العلوم الإسلامية، وإعادة النظر في المباحث التي يشتمل عليها، وتخليصه مِمّا لا يحتاج إليه الفقيه الأصولي، والاهتمام بمعرفة مقاصد الشريعة، وضرورة استمرار التطوير فيه. وحتّى مع مُقترَحاته السبعة للتطوير التي ذكرها في نهاية البحث، فإنَّها -في نهاية المطاف- مِمّا يُلزِم تحويل عِلْم أصول الفِقْه إلى "منهج بحث في الأدلَّة الشرعية؛ لنستفيد منها أحكاماً ومعالجاتٍ وحلولاً لسائر قضايانا المعاصرة، لنبسط عليها حاكمية الشرع لا سواه" (العلواني، 1988، ص42). وهي أمور لا تخرج عن المعالجات التقليدية في الموضوع المطروح.

وحين عرض العلواني بحثه في الندوة الأولى لمستشاري المعهد عام 1989م، كان الوعي بالمنهج أكثر وضوحاً عندما قدَّم عدداً من الـمُقترَحات لِـما يَلزم من عملٍ لتقديم مشروع "إسلامية المعرفة" في الإطار الأكاديمي، فكان الاقتراح الأوَّل بعنوان: "المنهج". وفيه تحدَّث عن أنَّ الـمُسلِمين كانوا "هم الأسبق إلى وضع المناهج وتطويرها وتحديد طرق البحث والتفكير ووسائل المعرفة... في مجال العلوم النقلية أو العقلية، حتّى أرسوا مناهج لكلِّ عِلْم من العلوم، مثل: أصول الفِقْه، وأصول التفسير، وأصول الحديث، وأصول النحو والمنطق... ولم يقتصروا على المنهج الاستنباطي في مجال العلوم النقلية، بل تجاوزوا ذلك إلى المنهج الاستقرائي في مجال التاريخ والعلوم الاجتماعية. ويُمكِننا القول إنَّ عقلية التنهيج أو المنهجية أصبحت هي السِّمَة البارزة للأُمَّة الـمُسلِمة... لكنْ لا بُدَّ من الاعتراف أيضاً بأنَّ عقلية التنهيج والامتداد بالتطوير المنهجي للعلوم، واستحداث مناهج للعلوم الـمُستجدَّة قد توقف عن التواصل... في الوقت الذي تطوَّرت فيه

المناهج عند الغربيين، وبلغت شَأْواً واسعاً. لذلك وقعت مُؤسَّساتنا ومعاهدنا وجامعاتنا في نطاق التحكُّم المنهجي الغربي... ولئنْ كان المنهج ضرورة في كلِّ شيء للتفكير الصحيح والإنتاج المعرفي السليم، فإنَّ ذلك يتأكَّد أكثر في الإطار الأكاديمي؛ فهو ضرورة لا مِراء فيها. وغَلَبة المناهج الدراسية الغربية (العِلْمانية) اللادينية على هذا الإطار تفرض تحدِّياً كبيراً يواجه عملية الإصلاح الفكري" (العلواني، 1994أ، ص87).

هكذا كان موضوع المنهج في تلك الورقة التي عرضها العلواني عام 1989م بصفة "ورقة عمل"، لكنَّها كلَّما طُبِعت من جديد أصبحت تعبيراً عن موقع مختلف لمفهوم المنهج في الحالة الفكرية للعلواني. وحين ننظر إلى طبعات الكتاب اللاحقة التي صدرت بعنوان: "إصلاح الفكر الإسلامي: مدخل إلى نُظُم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر" نجد أنَّ صفحات الكتاب أصبحت ثلاثة أضعاف ما كانت عليه، وأنَّ أهمَّ ما أُضيف إليه هو إعادة صياغة مشروع "إسلامية المعرفة" ليكون الهدف منه هو "إعادة بِناء منظومة الفكر لدى الـمُسلِمين انطلاقاً من القرآن ومنهجيته المعرفية، ومن السُّنَّة بوصفها تحمل منهجية تنـزيل قِيَم القرآن في واقع مُعيَّن، ومن الكون بوصفه المصدر الآخر للمعرفة مع الوحي. كذلك تضمَّن الكتاب إعادة صياغة ما ورد عن المنهج في الورقة الأصلية التي جاءت مادته في صفحة واحدة، فاتَّسعت لها تسع صفحات، تضمَّنت تعريفاً جديداً للمنهج والمنهجية، والنظر إلى مشروع "إسلامية المعرفة" على أنَّه "منهج معرفي مُحدَّد" يقوم على المحاور الستة التي عُرِف بها العلواني بعد ذلك، وهي: إعادة بِناء الرؤية الإسلامية، والنظام المعرفي الإسلامي الذي "يعطي القدرة على التوليد المعرفي المنهجي والتفسير المعرفي على أساس المنهجية المعرفية التامة، ثمَّ إعادة تشكيل وبِناء قواعد المنهجية الإسلامية على ضوء المنهجية المعرفية القرآنية، ثمَّ تطبيق هذه المنهجية في المحاور الأربعة الأُخرى، وهي منهج التعامل مع القرآن الكريم، ومنهج التعامل مع السُّنَّة النبوية، ومنهج التعامل مع التراث الإسلامي، ومنهج التعامل مع التراث الغربي" (العلواني، 1994ب، ص113–122؛ العلواني، 2009 ب، ص105–113).

وبحُكْم عمل العلواني رئيساً للمعهد، فقد تعيَّن عليه أنْ يتحدَّث في المؤتمرات والندوات والدورات التي كان المعهد يُنظِّمها في أماكن مختلفة، وكان عليه أنْ يُلبِّي كثيراً من الدعوات للحديث عن المعهد ورؤيته ورسالته وأولوياته. وقد نشر العلواني بعض ما كان يقوله أو يكتبه بطرق ووسائل مختلفة، منها -مثلاً- محاضرته التي حملت عنوان "إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم"، وجاء في مقدمتها: "لقد استقرَّ في فكر مدرسة "إسلامية المعرفة" منذ إنشائها أنَّها رؤية منهجية معرفية، وليست حقلاً عِلْمياً دراسياً أو تخصُّصاً أو إيديولوجية أو نِحْلة. ولذلك، فهي تسعى دائماً في قضايا المعرفة والمنهج إلى التجدُّد والتبلور واكتشاف الذات والواقع... ولذلك تكون المراجعة الـمُستمِرَّة ضرورة منهجية ومعرفية" (العلواني، 1996ب، ص9). وهنا يظهر الربط الواضح بين المنهج والمنهجية من جهة، وبين التجدُّد والمراجعة من جهة أُخرى.

ومشروع "إسلامية المعرفة" -في صياغة العلواني- يتناول "قضية منهجية تقوم على اكتشاف العلاقة المنهجية بين الوحي والكون، وهي علاقة تداخل وتكامل منهجي، تكشف عن استيعاب منهجية القرآن العظيم للكون وسُنَنه وقوانين حركته" (العلواني، 1996ب، ص19). ومن ثَمَّ، فإنَّ العلواني قدَّم رؤية تجديدية للمنهج، تتجاوز كونه طريقة لاستنباط الأحكام الشرعية من مصادرها إلى أُفق كوني في عالَم الأشياء وقوانين حركتها وسُنَن الله فيها، وإلى أُفق عالمي في التواصل مع الثقافة والحضارة المعاصرة. ولذلك ختم العلواني موضوع المحاضرة بالإشارة إلى الأُفق العالمي الذي حاولت مدرسة "إسلامية المعرفة" أنْ ترتقي إليه في أهدافها ونشاطاتها.

وكان العلواني قد أفرد لموضوع التجديد في المنهج كتاب "معالم في المنهج القرآني". وقد وضَّح وليد منير في تقديمه لهذا لكتاب علاقة الجُهْد اللازم في مثل هذا البحث بالفكر التجديدي، قائلاً: "إنَّ رصد "معالم في المنهج القرآني"، ومنحها عمقها الفلسفي الإبستمولوجي، وتحليل ما ينتج عنها من فاعليات نَشِطة في التفكير والسلوك؛ فكرةٌ مِنْ ألْـمَع أفكار التجديد الحضاري والدافعية العقلية والروحية" (العلواني، 2010، ص17).

والعلواني في جهوده للبحث عن المنهج يُؤكِّد "أنَّه لا بُدَّ من إدراك الفَرْق بين مقاربات القرآن؛ تعبُّداً، وذِكْراً، أو بحثاً عن شريعة وأحكام أو سُنَن كونية، والبحث عن معالم منهج عِلْمي يتحدّى المناهج البشرية، ويستوعبها، ويتجاوزها؛ فإنَّ الباحث هنا على خطر عظيم. وليس مَرَدُّ هذا الخطر صعوبة الموضوع المبحوث عنه وحده وجِدَّته وريادته، بل الخوف من الله سبحانه وتعالى أنْ يُنسَب إلى كتاب الله أمرٌ لا يكون مُراداً لقائله سبحانه وتعالى ومُنـزِّله. فالقول ثقيل والأمانة عظيمة، ولكنَّ الأمر ينطلق من القرآن ذاته الذي أعلن اشتماله على منهج وشريعة. فإذن، لا بُدَّ من الوصول إلى ذلك المنهج مهما طال الجُهْد، وتنوَّع، وتعدَّد" (العلواني، 2010، ص21).

ولكنَّ العلواني لا ينسى أنْ يذكر أنَّ من الضروري –ونحن نبحث عن معالم المنهج في القرآن الكريم– دراسة المناهج في تراثنا، وفي تراث البشرية؛ فهو يبحث عن منهج يتحدّى الخبرة المعاصرة في المناهج، وما تعانيه المناهج التي عرفتها الحضارة المعاصرة، بما في ذلك أزمة المنهج العِلْمي التجريبي. ولا شكَّ في أنَّ اكتشاف معالم المنهج القرآني يُسهِم في إنقاذ البشرية من مناهج تقوم على تصوُّرات ومفاهيم عبثية وعدمية تُهدِّد البشرية بالدمار (العلواني، 2010، ص23).

وقد انطلق العلواني في بحثه عن معالم المنهج في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]؛ لذا قرَّر أنَّه "لا بُدَّ أنْ يكون المنهاج قد فُصِّل أيضاً في آيات الكتاب الكريم كما فُصِّلت الشِّرْعة... لكنَّ العثور على تلك المعالم... يتطلَّب جُهْداً واجتهاداً كبيرين... فعلماء أصول الفِقْه قد قدَّموا لنا أدوات ووسائل كثيرة؛ لتقود حركتنا ونحن نتدبَّر القرآن لبلوغ آيات الشريعة. ولكنْ فيما يتعلَّق بالبحث عن المنهج، لم نجد طريقاً مُمهَّداً كتلك الطريق التي مهَّدها علماء أصول الفِقْه للوصول إلى شريعة القرآن" (العلواني، 2010، ص20). غير أنَّ العلواني رأى –في الوقت نفسه– أنَّ "مفهوم المنهاج القرآني لا يُطلَب من هذا النصِّ وحده، وإنَّما يُطلَب بما يتطلَّبه هذا النصُّ من تدبُّر، ومن سائر آيات القرآن الكريم التي تتضمَّن مفاهيم ومصطلحات

منهجية واضحة، مثل: الصراط المستقيم، والسبيل الأهدى، والسبيل السوي، وسبيل الله، والهدى، والنور، والاتِّباع، والاقتداء، والشفاء، والأُسوة الحَسَنة، والطريق الواضح البَيِّن."

وبحسب العلواني، فإنَّ الله تعالى حين قَرَن الشريعة بالمنهاج إنَّما جعلها مُقترِنة بمنهاج يُبيِّن "تطبيقها واتِّباعها، وتشكيل الحياة بمقتضاها بجوانبها كلِّها. كما يستلزم أنْ يكون المنهاج ضابطاً صارماً للفهم والوعي، وإدراك المقاصد والغايات، وضبط السلوك، والاتِّباع، وسلوك سبيل الهدية." لكنَّ القرآن الكريم، وهو يضع لنا المنهاج، وجَّهنا إلى التأسّي برسول الله ﷺ؛ ففي المواقف والأفعال والأقوال النبوية تفصيل وممارسة عملية لذلك المنهاج. وبذلك، "فإنَّ الحديث يضيف إلى شبكة المعاني التي تتَّصل بالمنهاج لفظاً آخرَ هو الـمَحَجَّة."[7] "فهو منهاج للتأسيس وللتجديد... وقراءة مفهوم المنهاج يعي قراءة جميع آيات الكتاب الكريم ذات العلاقة بالمنهج، إضافةً إلى المواقف والأفعال والأقوال النبوية ذات العلاقة بالنهج" (العلواني، 2010، ص68–71).

وبالرغم من أنَّ العلواني اجتهد في الكشف عمّا سمّاه معالم في المنهاج القرآني، فإنَّه نوَّه بأنَّ ما أوصله إليه اجتهاده ليس نهاية المطاف؛ فالموضوع يحتاج إلى تضافر جهود العلماء والباحثين من مختلف التخصُّصات العِلْمية، ومن ثَمَّ دعا إلى حوار عِلْمي يشارك فيه الـمُتخصِّصون في فلسفة العلوم والمناهج واللاهوت؛ ليتأكَّدوا أنَّ القرآن الكريم ليس مُجرَّد كتاب ديني يطلب الإيمان بما ورد فيه دون منهج للاستدلال والنظر العقلي، بل يُمكِن التعامل معه في ضوء قواعد المنهج العِلْمي.

وعندما حاول الباحث أنْ يبحث في كتاب العلواني عن المعالم التي حملها عنوان الكتاب، تَبيَّن له أنَّ ما ذكره من مُحدِّدات منهجية رُبَّما يُمثِّل المعالم التي يبحث عنها. وهذه الـمُحدِّدات في الكتاب ثلاثةٌ، هي: التوحيد، والجمع بين القراءتين، والوحدة البنائية للقرآن الكريم. ثمَّ شرح العلواني ما قصده بكلِّ مُحدِّد من هذه الـمُحدِّدات المنهجية القرآنية. وقد تكرَّر مصطلح "الـمُحدِّدات المنهجية" في كتابات العلواني ضمن سياقات مختلفة، وجاء الحديث عن كلٍّ من هذه الـمُحدِّدات بما يتناسب

[7] إشارة إلى الحديث الشريف الذي ورد فيه: "تركتكم على الـمَحَجَّة البيضاء...".

مع الغرض والسياق. والظاهر أنَّ مفهوم "ختم النُّبُوَّة" من أهمِّ ما اعتمده العلواني من الـمُحدِّدات المنهجية في تبنّيه لآرائه التجديدية، لا سيَّما مسألة النسخ والرِّدَّة وقضايا آخر الزمان.

وقد استفاض العلواني في توضيح فهمه لمسألة من المسائل التي اختلفت فيها الآراء والمذاهب، ولحقها كثير من الجدل والسِّجال منذ وقت مُبكِّر أثناء نشأة العلوم الإسلامية وتدوينها، ولم يزل يتكرَّر فيها سوء الفهم الذي يقع فيه بعض الباحثين وطلبة العِلْم عند التنويه بالقرآن الكريم ومرجعيته؛ سواء في الإطار الفِقْهي، أو الإطار المنهجي. وهي مسألة كَثُرَ فيها الشغب على العلواني في ما يختصُّ برأيه في مكانة السُّنَّة النبوية، وعلاقتها بالقرآن الكريم في الدائرة المنهجية. هذا مع العِلْم بأنَّ المسألة -في رأي العلواني- سهلة مُيسَّرة في ضوء عدد من الأصول التي لا جدال حولها، ومنها: الإقرار بحُجِّية السُّنَّة النبوية بوصفها بياناً عملياً تطبيقياً مُلزِماً لمنهج الاتِّباع المعصوم للكتاب الكريم، والإقرار بأنَّ الله تعالى حين أمر رسولهﷺ بتلاوة الكتاب الكريم على الناس وتعليمهم إيّاه وتزكيتهم وتطهيرهم به، فإنَّ ذلك يعني أنَّ أقواله تعالى وأفعاله وسائر تصرُّفاته تدور حول محور الكتاب؛ فأقواله تعالى بيان لمنهج التلاوة، وأفعاله تطبيق لذلك المنهج، وتصرُّفاته تقديم لمثال على منهج التأسّي به ﷺ. ثمَّ إنَّ أصول السُّنَّة النبوية كلَّها لا تخرج عن القرآن الكريم؛ فما جاءت به السُّنَّة النبوية، ولم يدلَّ عليه دليل مباشر، يُمكِن بقليل من التدبُّر أنْ يندرج تحت كُلِّيات القرآن ومقاصده، دون حاجة إلى القول باستقلال السُّنَّة النبوية بالتشريع، إلى الحَدِّ الذي وصل ببعض أهل العِلْم أنْ يقولوا عنده بأنَّ السُّنَّة قد تكون قاضية على القرآن الكريم وناسخة لبعض أحكامه.

وفي رأي العلواني، فإنَّ الجدل التاريخي بين الأصوليين والفقهاء من أهل الرأي والحديث كان خاصّاً بأحاديث الأحكام؛ ما حتَّم على كلِّ فريق أنْ يضع شروطاً لقبول الحديث، يُمكِن بها بيان أصل الحُكْم في القرآن الكريم قبل أنْ يستنتج حاجته إلى الاجتهاد. فالمسألة -في نظر العلواني- يسيرة، وهي لا تحتاج إلى التكفير والتفسيق الذي ظهر عند اشتداد الجدل بين الفريقين (العلواني، 2010، ص125).

وخلاصة رأي العلواني في هذه المسألة: "إنَّ القرآن المجيد -فيما أُؤمِن به، وأُدين الله به- هو المصدر الـمُنشِئ الوحيد للمنهج، وتتكامل السُّنَّة الثابتة به، الدائرة معه في جانبها الموحى معه بوصفها المصدر المبين على سبيل الإلزام. كما أنَّها المصدر التطبيقي الذي يُقدِّم للبشرية نموذج التأسّي، بما يشتمل عليه من ترجمة عملية للهدي القرآني، ونقله إلى سلوكيات إنسانية تندرج فيها المواقف التاريخية بأبعادها الزمانية والمكانية."

وقد استشهد العلواني في هذا المجال بما نصَّ عليه الشاطبي في هذه المسألة حين قال: "السُّنَّة راجعة في معناها إلى الكتاب؛ فهي تفصيلُ مُجمَله، وبيان مُشكِله، وبسط مُختصَره. وذلك لأنَّها بيان له، وهو الذي دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: 44)؛ فلا تجد في السُّنَّة أمراً إلّا والقرآن قد دلَّ على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية. وأيضاً فكلُّ ما دلَّ على أنَّ القرآن هو كُلِّية الشريعة وينبوع لها، فهو دليل على ذلك" (الشاطبي، 2004، ص729). ثمَّ أضاف العلواني توضيحاً لكلام الشاطبي، قال فيه: "أي مبينة به حُجِّية ودلالة، كما هو يُبيِّن بها، تبليغاً وتطبيقاً، ومنه أقول: واتِّباعاً وتأسِّياً" (العلواني، 2010، ص126).

وفي ما يختصُّ بالتجديد في جهود العلواني في مسألة المنهج، فإنَّه جاء من التطوُّر الذي مَرَّ به تفكيره في معنى المنهاج الوارد في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: 48)؛ فلم يكن تجديداً في ما وجده عند غيره وحسب، بل كان تجديداً في تفكيره هو نفسه، بعدما تبنّى أوَّل الأمر رأي الشافعي وآراء كثير من الـمُفسِّرين، من أنَّ المنهاج هنا يعني السُّنَّة النبوية. ومِمّا لا شكَّ فيه عند العلواني "أنَّ السُّنَّة منهج تطبيق وبيان. وإذا كانت السُّنَّة قد بيَّنت للناس كيفية تطبيق القرآن، واستيعاب واقع عصر النُّبُوَّة وجيل التلقّي به، فهي قد بيَّنت الشريعة كذلك؛ ففي قَصْر الـمُراد بها على المنهج نظرٌ." ثمَّ أخذ العلواني يميل إلى أنَّ الـمُراد بالمنهاج هو العِلْم الذي طوَّره العلماء لاحقاً باسم أصول الفِقْه، واستأنس في هذا الشأن بما قال به كثير من الباحثين المعاصرين، وبما تهيَّأ له من تخصُّصه في أصول الفِقْه أثناء دراساته الجامعية العُليا (العلواني، 2010، ص148-149).

ولا يبدو أنَّ العلواني قد واصل البحث في موضوع أصول الفقه وضرورة التجديد فيه؛ إذ لا نجد إشارات واضحة في أعماله اللاحقة تربط بين منهج أصول الفِقْه وتعامله مع القضايا الإشكالية في الفكر الإسلامي، بل إنَّنا نجده يميل إلى ترك أصول الفِقْه في الصورة التي تطوَّر فيها لأغراض ذلك العلم، واستنباط مناهج أُخرى للتعامل مع قضايا العلوم الاجتماعية؛ لحاجتها إلى دراسات مُتعمِّقة في الواقع ومشكلاته. والظاهر أنَّ العلواني في هذا الشأن كان مثل سائر مَنْ عالجوا مسألة المنهج في أصول الفِقْه؛ إذ أكَّدوا جميعاً أهمِّية تطوير استعمال البُعْد المنهجي لأصول الفِقْه في العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية.[8] ولا تزال هذه المسألة تُثار بين الحين والآخر في كتابات بعض الـمُفكِّرين، وفي الأُطروحات الجامعية. وغالباً ما يأتي الحديث عنها ضمن الكلام عن ظاهرة التداخل والبينية في المجالات المعرفية، التي تقتضي إعمال منهجية التكامل المعرفي في الأعمال البحثية. غير أنَّنا لا نجد كثيراً من التطبيقات التي تمارس هذا الربط في الأعمال البحثية.

ومهما يكن من أمر، فإنَّ العلواني لم ينقطع عن التدبُّر في آية الشِّرْعة والمنهاج؛ فتَبيَّن له "أنَّ القرآن الكريم كما اشتمل على الشريعة بتفاصيلها، فقد اشتمل على المنهج بمُحدِّداته كلِّها... وأنَّ الله -تبارك وتعالى- كما أكمل لنا الدين... وفصَّل لنا الشريعة، فقد أودع كتابه "المنهاج" القادر على التصديق على سائر ما وصلت البشرية إليه من مناهج، والهيمنة عليها." غير أنَّ العلواني استدرك، مُبيِّناً حاجة المنهج إلى التطوير عن طريق الممارسة. ومن ثَمَّ، فقد قرَّر "أنَّ المنهج لا تستقرُّ قضاياه، ولا تكتمل أدواته ووسائله إلّا بعد أنْ يجري تداوله، وتُنضِجه حوارات العلماء ومداولاتهم، ويُجرَّب فيما وُضِع له." ولذلك، فإنَّه كان يرجو أنْ يتلقّى من أهل العِلْم والاختصاص ما يكون لديهم من ملاحظات تفيد في تطوير البحث في الموضوع، وإنضاجه، واستكمال ما لم يتمكَّن من إكماله، "والعِلْم رَحِم بين أهله، وتواصل بين طالبيه" (العلواني، 2010، ص148-149).

[8] من أمثال: مصطفى عبد الرازق، وعلي سامي النشار.

خاتمة

كانت هذه جولة قصيرة في موضوع التجديد عند طه العلواني، حاولنا فيها تلمُّس بعض الجوانب التي عُرِفت عنه في هذا الموضوع، مع العِلْم بأنَّ مجال الحديث فيه يتَّسع لعدد من الجوانب الأُخرىٰ، لا سيَّما في تطبيقات رؤيته المنهجية لحاكمية القرآن وهيمنته، وحقيقة ختم النُّبُوَّة، وهي تطبيقات أثارت -ولا تزال تثير- الجدل حول اجتهادات العلواني فيها، كما هو الحال في حَدِّ الرِّدَّة، ومسألة رجم الزاني الـمُحصَن، وقضايا النسخ، والـمُحكَم والـمُتشابِه، ولسان القرآن، وأحداث آخر الزمان، بما في ذلك فكرة مجيء المهدي ونـزول سيِّدنا عيسىٰ عليه السلام.

والـمُهِمُّ في نهاية هذا الحديث -في تقديرنا- أنَّنا نجد أنفسنا مع العلواني أمام رجل أمضىٰ حياتَه طالبَ عِلْمٍ، كما كان يحلو له أنْ يَصِف نفسه، وهو بهذه الصفة لا يتوقَّف عن التعلُّم من كلِّ مناسبة تُعرَض له، يتعلَّم من التفكُّر والتدبُّر في ما يقرأ، ويتعلَّم من التفكُّر والتدبُّر في تجاربه ومَحَطّات حياته، ويتعلَّم مِنْ محاوراته مع مَنْ يأنس فيهم شيئاً من العِلْم أو الخبرة، ويتعلَّم من تلاميذه حين يُقدِّم درسَه، ويُناقِش ما يثيره الدرس لديهم من أسئلة وإشكالات، ويتعلَّم من زوجته وأبنائه وأصدقائه وزملائه في العمل. ومن ثمَّ، فإنَّ من الـمُتوقَّع أنْ يكون لديه جديد باستمرار.

وقد نوَّه العلواني بما يُمكِن أنْ يفتح الله به عليه من المعاني والأفكار والآراء بعد أنْ يستقصي جميع جوانب الموضوع، ويَتبيَّن ما فيه من حُجَج وأدلَّة. وما إنْ يتوصَّل إلىٰ رأي مختلف، حتّىٰ يأمُل أنْ يكون فيه مصيباً بأجرين، وإلّا فأمَلُه أن لا يفوته أجر المحاولة، وهو يرىٰ ذلك في حَقِّه واجباً دينياً. وهذا هو سبيل العلماء الذي يُبقي حركةَ العِلْم وحيويَّتَه وتجدُّدّه. وبالرغم من ذلك، فإنَّ العلواني لم يكن يتصدّىٰ لدراسة قضية مُعيَّنة، ليجد فيها رأياً مختلفاً، وإنَّما كان يقوم بذلك لأنَّ القضية تُمثِّل في أصلها إشكالية مطروحة فعلاً؛ ما يتطلَّب توافر الجرأة في إعادة طرحها وإعادة صياغة أسئلتها، ليتولّىٰ العلماء والباحثون القيام بما يَلزم من مراجعات، والخروج من الحالة السكونية التي يمارسها كثير من العلماء حين لا يتعاملون مع الإشكاليات بما يَلزمها من الدراسة والبحث والاستقصاء،

مُفضِّلين الركون إلى ما هو أسلم لهم، وأقرب إلى التقليد، الذي هو شأن العامَّة، وبذلك تفقد الأُمَّةُ حيوِيَّةَ الاجتهاد والتجديد.

ومع ذلك فإنَّنا في عملية تتبُّعنا لما قد يكون جهوداً تجديدية عند العلواني، لم نكن نقصد أن نقول إنَّ العلواني كان مُجدِّداً، ولم نجد في أعماله ما يشير إلى أنّه ادّعى لنفسه صفة المجدِّد، حسبنا أن نقول إنَّ ما نعرفه عن حياة العلواني وأعماله أنَّه كان واعياً عن ضرورة التجديد في الفكر الإسلامي، وأنّ فهمَه لحديث التجديد يختلف عن فهم جلال الدين السيوطي، وأنّه انخرط بحماس في تيار من تيارات الإصلاح الفكري الذي يستهدف تحريك عملية الاجتهاد والتجديد، بدءاً من الاجتهاد في توصيف حالة الأمة، وتحديد الأبعاد الغائبة عن فكرها وممارساتها، وما هو غائب من هذه الأبعاد حتى عن الحركات الإصلاحية نفسها، وأنَّه كان يؤمن بالعمل المؤسسي والاجتهاد الجماعي في ممارسة الإصلاح والتجديد، وأنّه كان جريئاً في التعبير عما يوصله إليه اجتهاده.

وقد يُقال إنّ ما توصَّل إليه العلواني في كثير من المسائل، التي ربَّما خرج فيها عن النمط السائد في التفكير الإسلامي المعاصر في هذه المسائل، لم يأت فيها بجديد؛ فهو -من ثَـمَّ- مسبوق فيها، وهذا نفسه هو ما يقوله العلواني، لكنَّ ما قام به العلواني لم يكن اختيار رأْيٍ من بين الآراء التي سبق أن قال بها العلماء، بل إنَّ العلواني درس الموضوع دراسة وافية، مكّنتْهُ من الترجيح بين الآراء، والاستدلال عن صحة ترجيحه، والأهم من ذلك أنّ معالجته للموضوع تأخذ بالحسبان أنَّ الموضوع هو موضوع معاصر، وأنّه يحتاج إلى إعمال رؤية كلية تضعه ضمن فئته من الموضوعات الأخرى، وأنّه يخضع للمحددات المنهجية التي تفرضُها نصوصُ الدين ومقاصدُه.

المراجع

بيبرس، أحمد محمد محمد (2020). "التجديد المقاصدي عند المدرسة الأزهرية المعاصرة: طه جابر العلواني نموذجاً"، **مجلّة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج**، العدد26، ديسمبر.

حامد، التيجاني عبد القادر (2022). **رحلة في فكر ومنهجية طه جابر العلواني**، فرجينيا: مركز الإسلام في العالم المعاصر، جامعة شناندوا.

أبو حليوة، إبراهيم سليم (2011). **طه جابر العلواني: تجليات التجديد في مشروعه الفكري**، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (1999). **سنن أبي داود**، الرياض: بيت الأفكار الدولية، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، حديث رقم (4291).

الديات، عدنان حسن إبراهيم (2006). **انفتاح الدلالة في النص القرآني: دراسة لغوية تحليلية**، (رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، إشراف: يوسف أبو العدوس).

الشاطبي، إبراهيم بن موسى (2004). **الموافقات في أصول الشريعة**، تحقيق: محمد عبد الله دراز، بيروت: دار الكتب العلمية، طبعة جديدة في مجلد واحد.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (1938). **الرسالة**، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي.

عرار، مهدي أسعد (2000). "انفتاح الدلالة في النص القرآني الشريف: وجه من وجوه الإعجاز العجيب"، بحث قُدِّم في المؤتمر العلمي الثالث لجامعة الأقصى في فلسطين بتاريخ 15–17 مايو.

العلواني، طه جابر (1996أ). **أبعاد غائبة عن فكر وممارسة الحركات الإسلامية المعاصرة**، هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العلواني، طه جابر (2003). **الأزمة الفكرية ومناهج التغيير**، بيروت: دار الهادي.

العلواني، طه جابر (1996ب). **إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم**، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العلواني، طه جابر (2014). **إشكالية التعامل مع السنة النبوية**، هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العلواني، طه جابر (1994أ). **إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات: ورقة عمل**، ط2، هيرندن، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العلواني، طه جابر (1994ب). **إصلاح الفكر الإسلامي: مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر**، ط2، بيروت: دار الهادي.

العلواني، طه جابر (2009 ب). **إصلاح الفكر الإسلامي: مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر**، هيرندن، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط5، ص105-113.

العلواني، طه جابر (1988). **أصول الفقه الإسلامي منهج بحث ومعرفة**، هيرندن، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العلواني، طه جابر (2009 أ). **التعليم الديني بين التجديد والتجميد**، القاهرة: دار السلام.

العلواني، طه جابر (2010). **معالم في المنهج القرآني**، القاهرة: دار السلام.

العلواني، طه جابر (2001). **مقاصد الشريعة**، بيروت: دار الهادي.

العلواني، طه جابر (2008). **نحو التجديد والاجتهاد: مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية**، القاهرة: دار تنوير للنشر والتوزيع.

العلواني، طه جابر (2004). **نحو منهجية معرفية قرآنية: محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة**، بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.

العلواني، طه جابر (2009 ت). **نحو منهجية معرفية قرآنية: محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة**، دمشق: دار الفكر.

العلواني، طه جابر (1995). مقدمة كتاب: "تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت: الحركة الموحية بالمغرب في أوائل القرن السادس الهجري"، تأليف: عبد المجيد النجار، ط2، هيرندن، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العلواني، طه جابر (2015 أبريل 22). كلمة طه جابر العلواني، في: "الندوة التحضيرية لمؤتمر التجديد في الفكر والعلوم الإسلامية" [فيديو يوتيوب]، التي نظَّمها الأزهر في القاهرة. انظر رابط المحاضرة الإلكتروني:

https://www.youtube.com/watch?v=yfDi_4X0akE&list=PLznkin5eO9r7uy1YcFfrxRNtcU0XrOFNd&index=5

العلواني، طه جابر (2017). **من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف**، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العلواني، طه جابر (2025 شباط 4). مقال منشور في موقع أكاديمية العلواني الإلكتروني، [فيسبوك]، الرابط الإلكتروني:

https://web.facebook.com/share/p/1LxmwEb74a/

العلواني، طه جابر (د.ت1). "الخطاب الديني وضرورة تجديده". مقال منشور في موقع أكاديمية العلواني الإلكتروني، الرابط الإلكتروني:

https://alwani.org/?p=11700

العلواني، طه جابر (د.ت2). تجديد الثقافة الإسلامية فريضة وضرورة. مقال منشور في موقع أكاديمية العلواني الإلكتروني، الرابط الإلكتروني:

https://alwani.org/?p=4781

العلواني، طه جابر (د.ت3). نحو تجديد الخطاب القيمي. مقال منشور في موقع أكاديمية العلواني الإلكتروني، الرابط الإلكتروني:

https://alwani.org/?p=11943

عمر، السيِّد (2021). **جامع فقه الأمة: رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة طه جابر العلواني**، القاهرة: دار الكلمة والمعهد العالمي للفكر الإسلامي.

ملكاوي، فتحي (2024). **التجديد والاجتهاد عند عبد الحميد أبو سليمان**، ضمن: رائد جميل عكاشة (محرراً)، **عبد الحميد أبو سليمان: مسيرة المعرفة والمنهج**. هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص255–286.

النشار، علي سامي (1965). **مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي**، ط2، القاهرة: دار النهضة العربية.

وجيه الدين، صادق محمد أحمد (2019). **منهج التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر :طه جابر العلواني أنموذجاً**، (أطروحة دكتواره، جامعة أسيوط، جمهورية مصر العربية).

References

Abū Dāwūd, S. (1999). *Sunan Abī Dāwūd*. Bayt al-Afkār al-Dawliyyah.

Abū Ḥulaywah, I. (2011). *Ṭaha Jābir al-ʿAlwānī: Tajalliyāt al-Tajdīd fī Mashrūʿahi al-Fikrī* (1st ed.). Markaz al-Ḥaḍārah li-Tanmiyyat al- Fikr al-Islām.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (1988). *Uṣūl al-Fiqh al-Islāmī Manhaj Baḥth wa Maʿrifah*. Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li-al-Fikr al-Islāmī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (1994). *Iṣlāḥ al-Fikr al-Islāmi: Bayn al-Qudrāt wa al-ʿAqabāt* (2nd ed.). Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li-al-Fikr al-Islāmī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (1994). *Iṣlāḥ al-Fikr al-Islāmi: Madkhal ilā Naẓm al-Khiṭāb fī al-Fikr al-Islāmī al-Muʿāṣir* (2nd ed.). Dār al-Hādī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (1995). *Muqaddimat Kitāb Tajribat al-Iṣlāḥ fī Ḥarakat al-Mahdī bin Tūmart* (2nd ed.). Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li-al-Fikr al-Islāmī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (1996). *Abʿād Ghā'ibah ʿan Fikr wa Mumārisat al-Ḥarakāt al-Islāmiyyah al-Muʿāṣirah*. Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li-al-Fikr al-Islāmī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (1996). *Islāmiyyat al-Maʿrifah bayn al-Ams wa al-Yawm*. Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li-al-Fikr al-Islāmī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2001). *Maqāṣid al-Sharīʿah*. Dār al-Hādī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2003). *Al-Azmah al-Fikriyyah al-Manāhij al-Taghyīr*. Dār al-Hādī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2004). *Maʿālam fī Manhaj al-Qur'ānī*. Dār al-Salām.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2004). *Naḥwa Manhajiyyah Maʿrifiyyah Qur'āniyyah: Muḥāwilāt fī Bayān Qawāʿid al-Manhaj al-Tawḥīdī li-al-Maʿrifah*. Dār al-Hādī li-al-Ṭabāʿah wa al-Nashr wa al-Tawzīʿ.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2008). *Naḥwa al-Tajdīd wa al-Ijtihād: Murājiʿāt fī al-Manẓūmah al-Maʿrifiyyah al-Islāmiyyah*. Dār al-Tanwīr.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2009). *Al-Taʿlīm al-Dīnī bayn al-Tajdīd wa al-Tajmīd*. Dār al-Salām.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2009). *Iṣlāḥ al-Fikr al-Islāmi: Madkhal ilā Naẓm al-Khiṭāb fī al-Fikr al-Islāmī al-Muʿāṣir* (5th ed.). Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li-al-Fikr al-Islāmī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2009). *Naḥwa Manhajiyyah Maʿrifiyyah Qur'āniyyah: Muḥāwilāt fī Bayān Qawāʿid al-Manhaj al-Tawḥīdī li-al-Maʿrifah*. Dār al-Fikr.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2014). *Ishkāliyyat al-Taʿāmul maʿa al-Sunnah al-Nabawiyyah*. Al-Maʿhad al-ʿĀlamī lil-Fikr al-Islāmī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2015, April 22). *Kalimah Ṭāhā Jābir al-ʿAlwānī, fī: "Al-Nadwah al-Taḥḍīriyyah li-Mu'tamar al-Tajdīd fī al-Fikr wa-al-ʿUlūm al-Islāmiyyah"*. YouTube (fīdiyaw yūtūb). https://www.youtube.com/watch?v=yfDi_4X0akE&list=PLznkin5eO9r7uy1YcFfrxRNtcU0XrOFNd&index=5

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2017). *Min Adab al-Ikhtilāf ilá Nubadh al-Khilāf*. Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li-al-Fikr al-Islāmī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2025). *Maqāl Manshūr fī Mawqiʿ Akādīmiyyat al-ʿAlwānī al-Iliktrūnī*. FaceBook (Fīsbūk). https://web.facebook.com/share/p/1LxmwEb74a/

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (n.d.). *Al-Khiṭāb al-Dīnī wa-Ḍarūrat Tajdīdih: Maqāl Manshūr fī Mawqiʿ Akādīmiyyat al-ʿAlwānī al-Iliktrūnī.* https://alwani.org/?p=11700

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (n.d.). *Tajdīd al-Thaqāfah al-Islāmiyyah Farīḍah wa-Ḍarūrah: Maqāl Manshūr fī Mawqiʿ Akādīmīyat al-ʿAlwānī al-Iliktrūnī.* https://alwani.org/?p=4781

Al-Dayāt, ʿA. (2006). *Infitāḥ al-Dalālah fī al-Naṣ al-Qur'ānī: Dirāsah Laghawiyyah Taḥlīliyyah* [Master's thesis, Yarmouk University (Jāmiʿat al-Yarmūk)].

Al-Nashshār, ʿA. (1965). *Manāhij al-Baḥth ʿinda Mufakkirī al-Islām wa Iktishāf al-Manhaj al-ʿIlmī fī al-ʿĀlam al-Islāmī* (2nd ed.). Dār al-Nahḍah al-ʿArabiyyah.

Al-Shāfiʿī, M. (1938). *Al-Risālah* (A. Shākir, Ed.). Maṭbaʿah al-Bābī al-Ḥalabī.

Al-Shāṭibī, A. (2004). *Al-Muwāfaqāt fī uṣūl al-Sharīʿah* (1st. ed.) (M. Darāz, Ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

ʿArār, M. (2000, May 15-17). *Infitāḥ al-Dalālah fī al-Naṣ al-Qur'ānī al-Sharīf. Baḥth Quddima fī al-Mu'tamar al-ʿIlmī al-Thālith li-Jāmiʿat al-Aqṣā fī Filisṭīn*.

Baybaras, A. (2020). Al-Tajdīd al-Maqāṣidī ʿind al-Madrasah al-Azhariyyah al-Muʿāṣirah: Ṭaha Jābir al-ʿAlwānī Namūdhajan. *Majallat Kulliyat al-Dirāsāt al-Islāmiyyah wa al-ʿArabiyyah*, 26.

Ḥāmid, Al-T. (2022). *Riḥlah fī Fikr wa Manhajiyyat Ṭaha Jābir al-ʿAlwānī*. Markaz al-Islām fī al-ʿĀlam al-Muʿāṣirah, Jāmiʿat Shanānduā.

Malkāwī, F. (2024). *Al-Tajdīd wa al-Ijtihād ʿinda ʿAbd al-Ḥamīd Abū Sulaymān* (R. ʿUkāshah, Ed.). Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li al-Fikr al-Islāmī.

ʿUmar, Al-S. (2021). *Jāmiʿ Fiqh al-Ummah: Raḥīq al-Ḥaqībah al-Maʿrifiyyah li al-ʿAlāmah Ṭaha Jābir al-ʿAlwānī*. Dār al-Kalimah wa al-Maʿhad al-ʿĀlamī li al-Fikr al-Islāmī.

Wajīh al-Dīn, Ṣ. (2019). *Manhaj al-Tajdīd fī al-Fikr al-Islāmī al-Muʿāṣir: Ṭaha Jābir al-ʿAlwānī*. Dār al-Kalimah wa al-Maʿhad al-ʿĀlamī li al-Fikr al-Islāmī.

Features of Taha Jabir Al-Alawani's Intellectual Renewal (*Tajdīd*)

Fathi Hasan Malkawi*

Abstract

This article treats the concept of renewal (*tajdīd*) in Islamic thought as understood by Taha Jabir Al-Alwani, who is considered one of the thinkers of the contemporary school of thought known as *Islāmiyyat al-Maʿrifah* ("The School of Islamic Knowledge"). It is divided into four sections. The first explores the concept of renewal and its relation to the Prophet Muhammad's hadith on renewal and *mujaddidīn* (bringers of renewal to religion) as understood by Al-Alwani, and in relation to a number of terms that overlap with the concept of renewal, especially the concept of revisionism (*al-murājaʿah*). The second section addresses Al-Alwani's vision of renewal in the field of education, and religious education in particular. The third section uncovers the relationship of Al-Alwani's critical mindset to his renewal efforts. The final section underlines Al-Alwani's interest in the issue of method and methodology as one of the most crucial issues to Islamic intellectual renewal. The article concludes that Al-Alwani's research does not delve into the subject of *uṣūl al-fiqh* (the science of Islamic Legal Theory) and the necessity of its renewal and tended instead to leave it as is (i.e., to serve what it was developed to serve). Rather, Al-Alwani calls on deducing further methods to address issues in the social sciences, as such issues come with a particular context or reality (*wāqiʿ*) and thus require more specialized methodologies to treat them. It is precisely for this reason that Al-Alwani placed great emphasis on developing methodologies as used in *uṣūl al-fiqh* for the humanities and social sciences.

Keywords: Taha Jabir Al-Alwani, intellectual renewal, *tajdīd*, *mujaddidīn* discourse, revisionism, *murājaʿah*, religious education, critical mindset, methodological determinants.

* Fathi Hassan Malkawi, PhD in Scientific Education and Philosophy of Science, Jordanian educator and university professor, consultant at the World Institute of Islamic Thought in Jordan. Email: fathihmalkawi@gmail.com.

Cite this article as: Malkawi, Fathi Hassan (2025). "Features of Taha Jabir Al-Alawani's Intellectual Renewal (*Tajdīd*)", *Journal of Contemporary Islamic Thought (formerly Islamic Knowledge)*, Vol. 31, No. 109, 15-53. DOI: 10.35632/citj.v31i109.13839